Issue 700

جمادى الأولى 1446هـ

الرابطة

المؤتمر الدولي «الإيمان في عالم متغير»

يتبنى فكرة إنشاء مرصد دولي لمواجهة شبهات الإلحاد

الرابطة - شهرية علمية ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي - العدد 700 جمادى الأولى 1446 هـ

Issued by the Muslim World League

الإيمان
في عالم متغير

موضوع «الإيمان والإنسان» هو العقد الناظم لأعمال المؤتمر الدولي: «الإيمان في عالم متغير»، الذي نظمته الرابطة المحمدية للعلماء بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي في مدينة الرباط.

ومـن يطلـع على نتائج المؤتمر يجد أن كلمة إنسـان ومشـتقاتها تكررت في الوثيقة أربعًا وعشـرين مـرة، مما يبرز بوضوح ما اجتمـع عليه الأمر وانعقد عليه العزم بضرورة التكامل بين الإيمان وحياة الإنسـان. وهذا تكامل لا محيص عنه من أجل مسـتقبل أفضل للإنسـان، وتوجيهه باسـتلهام تعاليم الإيمان، ضمانًا لإبراز مكانة هذا الإنسان في الكون وحفظ كرامته وصون حقوقه.

ويبرز المؤتمر من ناحية أخرى أهمية الإيمان في التوصل إلى معاني وجود الإنسان على هذا الكوكب، وفهم الإنسان لذاته والعالم من حوله. وكذا بيان أثر الإيمان إذا استقام في الأنفس إيجابًا في ترتيب الحياة الدنيا، وحسـن المآل في الآخرة. أما إذا تلبسـت النفوس أمراض العقيـدة، كأن يصبح الإيمان مظاهر شكلية، أو حماسة من غير هدى أو كتاب منير، فإن أثر الإيمان يضعف في الأنفس والمجتمعات.

وقـد اسـتوفى المؤتمـر أهدافـه كما ينبغـي بإصـدار «وثيقة الإيمـان في عالـم متغيِّـر»، التي جاءت مسـتلهمة وثيقة مكة المكرمة، ومسـتجيبة للتحديات الماثلة في عالمنا المعاصر بسـبب التغيرات الكبيـرة في بنيتـه الاجتماعيـة وفي التطـور القيمـي والتقني. وقد دعـا المشـاركون في المؤتمر جميع الجهـات العلميـة والشـخصيات المجتمعية والمؤسسـات الوطنية إلى دعم «وثيقـة الإيمان في عالم متغيـر»، وتأييدها، متعهدين أيضا بتعزيز مضامين هذه الوثيقة في مؤسسـاتهم العلمية ومنصاتهم الإعلامية ومجتمعاتهم.

وتبنى المؤتمر دعوة من معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسـلامي الشـيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسـى إلى إنشـاء هيئة إنسـانية إيمانية رائدة تحت اسـم: «المرصد الدولي لدلائل الإيمان ومواجهة الشـبهات» تهتم بترسـيخ الإيمان ورصد الشـبهات المثارة والأجندات المشبوهة للعدمية الإلحادية والعبثية المجتمعية.

أما عناية المؤتمر بالتصدي لشـبهات الإلحاد، ورصد مخاطره، وبيان أسـاليب التعامل معها، فمردها إلى تنامي الإلحاد في بعض المجتمعات.

وهكذا تبرز القيمة الحقيقية للإيمان وفق السـياق الذي سـار عليه المؤتمر، تلك القيمة التي لا تكمن فيمـا نقولـه عن الإيمان، بل فيما يتجسـد منـه في أخلاقنا وأعمالنا. وبذلك يصبح الإيمان أسـمى من مجـرد عاطفـة شـعورية أو قضية برهانية. يصبح الإيمان هو الثابت في هـذا العالم المتغير، بل القوة الداخليـة التي تعزز قدرة الإنسـان على مواجهة مشـكلاته. ويصبح الدافع للتغييـر الإيجابي وصياغة الإنسـان للتعامـل مع أدوائه الكثيـرة من الحروب والنكبـات والكوارث، وتبعث فيـه الأمل والتفاؤل مهما كانت الظروف.

المحتويات

Contents

شهرية - علمية - ثقافية

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري | مساعد الأمين العام للاتصال المؤسّسي

أ. ياسر بن صالح الغامدي | المدير العام لإدارة المحتوى

د. عثمان أبوزيد عثمان | رئيس التحرير

د. أحمد بن حمد جيلان | المستشار الإعلامي

أ. عبدالله بن خالد باموسى | مدير التحرير

- المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب 537 مكة المكرمة - هاتف: 00966125309387 المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير - البريد الإلكتروني: mwljournal@themwl.org.

- الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

- د. العيسى يدشن المؤتمر الدولي: «الإيمان في عالم متغير»
- «وثيقة الإيمان في عالَم متغير».. إعلان عالمي يؤكد مركزية الدين في قيام الحضارات وازدهارها
- المجامع الفقهية وصناعةُ الحلول الشرعية
- وزير الأوقاف المصري السابق: التحصن بالإيمان يحمي الفرد والمجتمع والأمة
- وثيقة الرباط: تأكيد على البعد الإيماني في الحفاظ على البيئة
- كتب السيرة النبوية المترجمة من الأردية للعربية
- نحو رؤية شرعية للذكاء الاصطناعي

- للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org
- طبعت بمطابع تعليم الطباعة - رقم الإيداع: 343/1425 - ردمد: 1658-1695.

برعاية ملك المغرب

د. العيسى يدشن المؤتمر الدولي:

«الإيمان في عالم متغير»

الرابطة - الرباط

برعاية من جلالة الملك محمد السادس، ملك المملكة المغربية، دشّن معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ د. محمد بن عبدالكريم العيسى، أعمالَ المؤتمر الدولي: «الإيمان في عالم متغير»، الذي نظمته الرابطة المحمدية للعلماء بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي، وسطَ مشاركة واسعة؛ من شخصياتٍ دينيّةٍ وفكريّةٍ عالمية ذوات اختصاص وخبرة، وحوارات مشهودة ومُثَمّنة في قضايا الإيمان وجدليات الإلحاد المعاصر.

ويسعى المؤتمر، الذي استضافت أعماله العاصمة المغربية الرباط، واستمر على مدى يومين متتاليين، إلى إبراز دلائل الإيمان المعاصر، وتعزيزه في النفوس، والتصدي لشبهات الإلحاد، ورصد مخاطره، وبيان أساليب التعامل معها، وقد صدرت عنه «وثيقة الإيمان في عالم متغيّر».

وفي كلمتـه الافتتاحية «التأطيرية» لأعمال المؤتمر، أكد فضيلة الشـيخ د. محمد العيسـى، أنّ المؤتمر يأتـي لتذاكُـر دلائـل الإيمـان، ولتعزيـزه في القلوب المؤمنـة من جهـة؛ وليُواصِلَ أهلُ العلـم والإيمان هزيمةَ الإلحاد من جهة أخرى.

وتطـرق معاليـه في كلمتـه إلـى أمـور مفصليـة في موضـوع الإلحـاد، شـملت الضبـط المفاهيمـي للمصطلح، والسياق التاريخي، وتفكيك علاقة التلازم بين الإلحـاد والذكاء والعلوم المادية، إلى جانب الرد علـى جملـة مـن الشـبهات والمهاتـراتِ الإلحاديـة بجدالاتها التي ظهرت منذ بداية نشأة تلك العلوم.

يسعى المؤتمر إلى إبراز دلائل الإيمان في السياق المعاصر، والتصدي لشبهات الإلحاد

كما تطرّق معاليه إلى ما يتميز به هذا الكون البديع من تصميم أوصل بعض علماء العلوم المادية، مثل آينشتاين، إلى قناعة بأنّ قوانين الكون لها سلطة تدير الكون، مبيناً معاليه أنّ آينشتاين اضْطُر إلى ذلك بسبب حقائقَ صادمةٍ للفكر العدمي، مع أنه لم يكن باحثاً عن وجود الخالق جلّ وعلا، لكنّ تلك الحقائقَ أنطقته كما أنطقت غيرَه.

وفي ختام كلمته، نبّه الشيخ العيسى إلى جملة من الأمور المتعلقة بالتصدي لشبهات الإلحاد، ومن أهمها: ألا يتصدّى لذلك إلا المختصون الراسخون، وأنْ يجتمع لذلك عِدّةُ اختصاصات حيث تتداخل الشبهات مع أكثرَ من علم، إضافة إلى ضرورة التصدي بخطابٍ يفهمه الجميع ويَقْبلون بمُسَلّماته المنطقية المشتركة، مع عدم التكلف، وسلبيةِ الحماسة، ولا سيما حِدّةَ الطرح؛ لأنّ هذا من شأنه أنْ يُحيل القضيةَ إلى قضية مكابرة، ونحن دعاةُ خيرٍ للإيمان، لا نريد إلا هدايةَ الناس، لا فتنتَهم وخسارتَهم.

ثم توالت الكلمات الإرشادية للمتحدثين في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، بمشاركة كل من: معالي الدكتور أحمد عبادي، الرئيس العام للرابطة المحمدية لعلماء المغرب، ومعالي الشيخ عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، رئيس مجلس الإمارات العربية المتحدة للإفتاء الشرعي، ومعالي الدكتور محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف المصري السابق وعضو المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي، ومعالي الدكتور قطب مصطفى سانو، الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، وفضيلة الدكتور شوقي علام مفتي الديار المصرية السابق وعضو مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، وسعادة الدكتور سالم المالك رئيس منظمة الإيسسكو، وسعادة أستاذ كرسي اليونسكو للتعددية الدينية والسلام، في سابينزا بجامعة روما، سعادة البروفيسور ألبرتو ميلوني، ومعالي السيد محمد يسف، الأمين

العـام للمجلـس العلمـي الأعلـى في المغـرب، والكاردينال كريسـتوبال لوبيـز روميرو، رئيس أسـقفية الرباط، وعدد من الشخصيات الدينية والفكرية والمبرزين في الدراسات ذات الصلة.

وشـهد اليـومُ الأول للمؤتمـر عقـدَ جلسـتين علميتين تناولت الأولى محور «الإلحاد في السياق المعاصر.. عرض ونقد»، بينما تناولت الجلسـة الثانيـة محـور «الإيمـان في ضـوء التكنولوجيـا المعاصـرة.. الرهانـات والتحديات».كما شـهد اليـوم الأول عقـد ثـلاث وُرش عمـل تمحورت الأولى حول «الاعتقـاد والقضايا الحارقة في عالم متغيـر»، والثانيـة حول «الإيمـان في عالم اليوم ووظيفية الأبعاد التمثلية والمعرفية والفكرية»، بينمـا تمحورت الثالثـة حول «الإيمـان في عالم متغير.. الأبعاد العلائقية والأنساق الاجتماعية». وتتواصـل أعمـال المؤتمـر عبر ثلاث جلسـات علميـة، تتناول الأولى محـور «الطفرة الرقمية وظهـور المؤثرين الجـدد في التديـن»، وتتناول الثانيـة محـور «مكانـة النظريـات الفلسـفية والمعرفيـة في تشـكيل المفاهيـم والتاريـخ والحضـارة»، بينما تتنـاول الثالثة محور «البناء الإيماني.. الواقع والاستشراف». وشهد المؤتمر في ختـام أعمالـه الإعـلان عن وثيقـة «الإيمان في

عالم متغير» التـي تمثل بياناً مهماً من النخب والرموز الدينية والفكرية العالمية حول الإيمان في مواجهـة الإلحـاد، مـع التأكيـد علـى وجـود الاختلاف بين العقائد الدينية والفكرية في معنى الإيمـان باللـه، وإنمـا ينصب الحديـث وتضافر الجهود على مواجهة الأفكار العدمية الإلحادية.

صاغتها شخصيات دينية وفكرية عالمية

«وثيقة الإيمان في عالَم متغير»..

إعلان عالمي: يؤكد مركزية الدين في نهضة الحضارات وازدهارها

الرابطة - الرباط

أكدت الوثيقة العالمية الصادرة عن أعضاء المؤتمر الدولي: «الإيمان في عالم متغيّر»، على مركزية الدين في قيام الحضارات وازدهارها، وأثره في صياغة أفكار المجتمعات وتقويمها، وقدرته على مواجهة المشكلات ومعالجتها، محذرين من أنّ تهميش دور الدين في الاهتداء الروحي والإرشاد العقلي يفتح الباب واسعاً أمام مظاهر الفوضى الأخلاقية والسلوكيات المنحرفة والإباحية المهينة، ويضع العالم أمام حالة غير مسبوقة من التردي الأخلاقي والانحلال القيمي.

واختتم المؤتمر أعماله، في العاصمة المغربية الرباط، وسطَ مشاركة واسعة؛ من شخصياتٍ دينيّةٍ وفكريّةٍ عالمية، بإصدار الوثيقة التي حملت عنوان: «الإيمان في عالم متغير»، وتضمّنت الإعلان عن تأسيس المرصد الدولي لدلائل الإيمان ومواجهة الشبهات، كهيئة إنسانية إيمانية متخصصة.

وشدّد المؤتمِرون على أنّ القيم الأخلاقية تستند إلى الفطرة الإنسانية وتتأكد بالرسالات الإلهية، وتبقى على الدوام أصلاً مشتركاً ومرتكزاً ثابتاً وإطاراً جامعاً تنبع منه الأفكار المستنيرة والأطروحات الرشيدة

في مسيرة الحضارة والتقدم، لافتين إلى أنه بقدر رسوخ تلك القيم في الوجدان الإنساني يتحقق الأمن والوئام المجتمعي.

وأوضحوا أنّ الإنسان هو محور الرسالات الإلهية، فضّله الله على سائر المخلوقات، وسخّر له الأرض؛ ليؤدي مهمة الاستخلاف في إصلاحها وعمارتها، واستدامة بنائها ونمائها، والمحافظة على مواردها وثرواتها، ليَسعد الجميع بحياة طيبة كريمة، ويتمكنوا من عبادة خالقهم سبحانه وتعالى، داعين إلى حِفظ كرامة الإنسان وصيانة حقوقه وحرياته المشروعة، والاعتراف به وجوداً وحضارة، أياً كانت هويته الدينية والوطنية والإثنية، واعتباره أخاً مشاركاً في بناء المجتمع وتنميته.

كما أكد المؤتمرون في الوثيقة على مسؤولية القيادات الدينية والفكرية والمجتمعية حول العالم في استثمار الإرث الإنساني المشترك، للحفاظ على المكتسبات الحضارية المتراكمة عبر التاريخ والتصدي للظواهر السلبية التي أفرزتها العولمة، واحتواء الآثار المدمرة التي سببتها الجوائح والأوبئة والحروب.

تَبنى: مبادرة الرابطة بإنشاء مرصد دولي لمواجهة شبهات الإلحاد

ونبهوا إلى أنّ التعاون والتكامل بين المكونات الدينية المختلفة واستثمار مشتركاتها المتعددة هو المسار الأنجح لصياغة الأُطر الفكرية الرشيدة للتحصين من مخاطر السلوك المتطرف، وتحييد خطاب الكراهية، وتفكيك نظريات الصدام والصراع.

وحثوا على الرقي بالعمل الإنساني والسموّ به على كافة مظاهر التحيّز والتعصب والتسييس، ليكون عملاً صالحاً ينفع الناس بلا تمييز أو تفريق، مع العمل على إرساء الأخوة الإنسانية بإقامة المشاريع الإغاثية والتنموية حول العالم، والتمسك بها وتطويرها، ضمن أبعاد عالمية وشراكات استراتيجية مثمرة تخدم الإنسانية، وترسي دعائم

تهميش الدين يفتح الباب واسعاً أمام مظاهر الفوضى الأخلاقية والسلوكيات المنحرفة

الوئام والسلام، وتحقق للبشرية الرخاء والاستقرار.

وشدّد المؤتمرون في الوثيقة على التزام المنهجية العلمية الرصينة في تفسير النصوص، وفهم الحقائق الدينية، وتوضيح المصطلحات والمفاهيم الفكرية وتنزيلها على المستجدات العصرية، بما يحقق مقاصد الدين في حفظ الضروريات، وتحقيق التوازن والاعتدال.

وأكّدوا أنّ تعزيز العلاقة بين الدين والعلم أمرٌ جوهري؛ يتجلى به التكامل بين الإيمان والحياة وبين المعرفة والفلسفة، لمواجهة انحرافات الإلحاد العدمي والفكر المادي الذي يُقصي الروحانيات والقيم عن دورها المركزي، وصولاً إلى رؤية تبرز مكانة الإنسان ودوره في الكون، وتضع الطبيعة في سياقها الصحي، وتجسد أهمية الإيمان في التوصل إلى معاني وجودنا على هذا الكوكب وأهدافه.

وأشاروا إلى أنّ الحوار بين الأديان والثقافات قيمة عليا؛ تساهم في بناء جسور التواصل بين الشعوب، وتفتح أبواب التعارف وتداول المعارف وتوسيع المفاهيم والاحترام المتبادل، مما يرسخ العلاقات الإنسانية على أسس من التعاون والتسامح ويعزز من قدرة المجتمعات على مواجهة تحديات العصر بروح منفتحة ومقتنعة.

وأوضحوا أنّ التكنولوجيا والتقدم العلمي والذكاء الاصطناعي وسائل رئيسة في تشكيل الفكر والوعي والرقي بسلوك المجتمعات، وتتصدر لرسم معظم ملامح المستقبل المادي والمعرفي للأجيال القادمة، مشددين على أهمية المسارعة إلى استغلالها، والمبادرة إلى الاهتمام بتطوير وسائل التربية الدينية وتجديد طُرقها لتتلاءم مع العصر الرقمي والتطورات المتسارعة، وتنجح في بناء جيل قادر على فهم العالم المحيط به من منظور إيماني راسخ ومتجدد.

وأكدوا على أنّ التضامن بين الشعوب هو السبيل الأمثل لمواجهة التحديات العالمية الكبرى؛ كالتغير المناخي وهدر الموارد وشحّها وحماية البيئة والمحافظة على الثروات الطبيعية، وهو واجب ديني وأخلاقي لا يتحقق إلا بتعاون الجميع في تعزيز

الوعـي البيئـي وتهذيـب السـلوكيات المسـتدامة واستشعار المسؤولية.

كمـا أكدوا علـى أنّ المرأة في إطارها الإيماني مصدر نور وإشعاع حضاري لها الحظ الأكبر في غرس ثوابت الدين ومـكارم الخلق الحميـد، منبهين إلى أنه من الواجب حراسـة دورها الرئيس في الأسـرة ورعايتها وتربيـة الناشـئة والعنايـة بهـا، وترسـيخ التآلـف والانسـجام بينهـا، وتحصيـن الأجيـال الصاعدة من فوضى المشاعر واضطراب الأفكار.

وعَبْـر الوثيقـة، دعـا المشـاركون في المؤتمـر كلاً مـن رابطـة العالـم الإسـلامي والرابطـة المحمدية للعلماء إلى تأسـيس هيئـة إنسـانية إيمانية رائدة تحـت مسـمى «المرصـد الدولـي لدلائـل الإيمـان ومواجهة الشـبهات» تهتم بترسـيخ مبادئ الإيمان وتعزيز قيمها الأخلاقية، مع رصد الشـبهات المثارة والأجندات المشبوهة للفوضى التحررية، والعدمية الإلحادية، والعبثية المجتمعية.

ومـن المتوقـع أن يقـوم المرصـد بهـذه المهـام المسـندة إليه من خلال كتابات مستوعبة وندوات متخصصـة، يُسـتكتب لهـا ذوو التميـز والإجـادة، وتوظّف لإنجاح أهدافها وإيصال رسـالتها: الوسـائل الرقميـة والإعلاميـة الحديثة، وينشـر عـن أعمالها ومنجزاتهـا تقريـر سـنوي باللغتيـن العربيـة

تعزيز العلاقة بين الدين والعلم أمرٌ جوهريٌّ لمواجهة انحرافات الإلحاد

والإنجليزيـة، لتكـون مرجـع اهتداء فكـري ومعلم إرشـاد إيماني، تساعد الإنسـان على التعامل الأقوم مع المستجدات المتسارعة والمتغيرات الكبرى في وطنه وعالمه.

وتعهد المشـاركون في المؤتمر بالاحتفاء بمضامين «وثيقـة الإيمـان في عالـم متغيـر» والاهتمـام بتعزيزهـا في صروحهم العلمية ومنابرهم الإعلامية ومجتمعاتهـم الوطنيـة، بما يتماشـى مـع الأنظمة السـارية والقوانيـن الدولية، داعيـن جميع الجهات العلميـة والشـخصيات المجتمعيـة والمؤسسـات الوطنيـة إلى دعم هذه الوثيقـة وتأييدها. كما أكدوا علـى أن معنى الإيمان باللـه تعالى يختلف باختلاف الأديـان والأفـكار، وأن الحوار فيه له مقـام آخر، وأن هـذا المؤتمـر إنمـا ينصـب علـى مواجهـة الأفـكار العدمية الإلحادية.

تحقيق الإيمان

الطريق لإسعاد البشرية

بقلم: د. منقذ السقار - مكة المكرمة

الإيمان بالله وجوداً وتصريفاً أمر مركوز بالفطرة، والمكابرة في إنكاره تسقط مع أي اختبار حقيقي يضع الإنسان أمام ضميره، فلا تستكين نفسه إلا بالهروب إلى خالقه، والاحتماء به، وقد عبر بعضهم إبان الحرب العالمية الثانية عن هذه الحقيقة بالقول المشتهر: «لا ملحدون في الخنادق»، ففي أوقات الشدة والبأس تنزوي المادة وتذوي تصوراتها، وتسترد الفطرة دورها، وتستعيد عافيتها من بعد طمس طويل تحت أسمال المادية.

ولذلك لما سئل جعفر بن محمد، رحمه الله، عن دليله على وجود الله؟ قال له: هل ركبت البحر؟ هل عصفت بكم الريح حتى خفتم الغرق؟ هل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين؟ هل تتبعت نفسك أن ثم من ينجيك؟ قال: نعم، قال: فإن ذاك هو الله. [ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشري (٣/ ٤٨).

إن فطرية الإيمان بوجود الخالق أغنت عن تحويلها إلى قضية برهانية يستدل لها بالعقل أو الحس أو غيره مما تقوم به الحجة، لذا لا نجد في القرآن الكريم تقريرا لها، في حين نجد حديثاً مسهباً عن أمور كانت موضع جدل كالوحدانية والربوبية والألوهية، فوجود الله حقيقة مغروسة في الفطر لا تحتاج في إثباتها إلى برهان.

وفطرية هذه المسألة أوضحت أن الإنسان كان دوماً متديناً مؤمناً بوجود إله خالق قادر، فالكل مؤمن بالخالق، مذعن له، وإن أنكر أو تنكر لاسم هذا الخالق القادر فسماه بالطبيعة التي لا تقهر، وقد عبر الفيلسوف الفرنسي موريس بلوندل عن هذه الحقيقة بقوله: «ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة»، فقد بقي الإلحاد حالة شاذة تلتصق في الغالب بأزمة نفسية أو بفلسفة متقعرة سوفسطائية.

والناظر في التاريخ الإنساني لا تخطئ عينه أين اتجهت من شهود إيمان بوجود الخالق في كافة مجتمعاته، في إجماع فريد يثبت عمق الإيمان به تبارك وتعالى، وأنه مفطور على التعبد لخالقه، لا تنفك روح عن التطلع إلى مرضاته، وقد صدق المؤرخ الإغريقي بلوتارك حين وصف تجذر الدين في حياة الإنسانية: «من الممكن أن نجد مدنًا بلا أسوار، وبلا ملوك، وبلا ثروة، وبلا آداب، وبلا مسارح، ولكن لم نجد قط مدينة بلا معبد، يمارس فيه الإنسان العبادة».

وإزاء هذه الحقيقة المستقرة في عمق التاريخ الإنساني فإن العالم اليوم يشهد تصاعداً مطرداً في أعداد الملحدين، وقد أوصلت الدراسات نسبة الملحدين في العالم إلى ٧٪ من سكانه، وهي في ازدياد مطرد، لكن يحسن قبل أن تفجعنا هذه الأرقام أن نعلم أن السواد الأعظم لمن يحسبون على الملحدين لا ينكرون وجود الله، فهذا النوع المعروف بالإلحاد الإيجابي أو الصلب هو النسبة الأقل بين من يعرفون أنفسهم بالملحدين، وأما النسبة الأكبر فهم من اللا أدرية ومعتنقي المذهب الربوبي، الذين لا ينكرون وجود الله، لكنهم يرفضون

الانتسـاب إلـى الديانـات الموجـودة، ولا يعتبرونها تعبيـراً صادقـاً يمثل الخالق الـذي يؤمنون بوجوده وخالقيتـه لهذا الكـون البديع، إذ لا يمكن لهذا العالم الفسيح وتوازنه الدقيق أن يكون نتاج صدفة سعيدة أو عشوائية عابثة.

وهذا الانتشـار المتصاعد للمذهـب الربوبي يتعلق بتراكمات تاريخية وممارسات غير منضبطة تتعلق بأخطـاء المتدينيـن ورجال الديـن أو ببنيـة الأديان وضعـف تصوراتها علميـاً أو أخلاقياً، وهي مشـكلة تواجه الديانات المختلفة بنسب متفاوتة، وتستدعي دراسـة موضوعية للقيادات الدينية والمجتمعية في مواجهـة هذه الظاهرة والنظر في أثرها المسـتقبلي على هذه المجتمعات وهويتها الثقافية.

وبالعـود إلى الإلحاد الصلـب المنكر لوجود الله فإنه ليس قضية شخصية تتعلق باختيار صاحبها، بل هي نمط حياة ينعكس على كل معاملات وقيم معتنقه، فلا أخطر على بنية المجتمع من الفصل بين الأخلاق والقيم وبواعثها الدينية، فاعتقاد الملحد بأن البشـر -وفـق كاهـن الإلحـاد ريتشـارد داوكينز- ليسـوا إلا وسـخاً كيميائيـاً لا يبقي للأخـلاق أي معنى، ويجرد الأخلاق من أي قيمة موضوعية لها، ففي عالم مادي أوجدته الطبيعة العشـوائية، مـا هي قيمة الصداقة أو الأمانة أو غيرها من القيم النبيلة؟!

إن فصـل الديـن عن الخالق يفقد الإنسـان كل حافز روحـي للالتـزام بالفضيلـة، ويجعل الأخـلاق قضية نسـبية تستمد مشروعيتها من المنفعة الشخصية التـي تضبطها معاييرنا الشـخصية وأذواقنا الأنانية، وهـو ما يعني تـآكل الجذور الثابتـة للأخلاق لصالح الفردانيـة والماديـة، ويجعلنـا أمـام عالـم همجي لا يختلف عن عالم الوحوش المفترسـة حولنا، وهو مـا يعتـرف بـه داوكينز نفسـه حيـن قـال في كتابه «وهـم الإله»: «من الصعب جـداً الدفاع عن القيمة الأخلاقيـة المطلقـة على أرضية أخـرى غير الدين»، واستنتج أنه «لا مانع في الإطار المادي أن يكون هتلر علـى صـواب»، وسـدد ضربة إلى كل مـا تبقى من إنسـانية الإنسان حين قال: «اعتقادك بأن الاغتصاب خطـأ أمر اعتباطي تمامًا»، فبدون الأديان سـنعيش بلا محرمات، بلا قيم، ولن نجد كبير فرق بيننا وبين سائر الحيوانات حولنا.

ولقـد يحـق لأحدهـم أن يقـول: يوجـد ملحـدون أخلاقيون، وهو قول محق، فإن هؤلاء يستبقون شيئاً من إنسـانيتهم باقتباس المثل الدينية السـائدة في مجتمعاتهم، وليس من النظرية العدمية السـوداء التـي يقدمها الإلحـاد، ولكن أخطر مـا ينتظر عالمنا أن يتصالح الملحد مع قيمه، وهنا سـتكون الكارثة، لإيمانه أن القيم صناعة إنسـانية، ولا يمكن للإنسان أن يفرضها على غيره، إذ ليس فيها قيمة موضوعية، ولا تفرضها قوة علوية.

وقـد تجلـت هـذه الحقيقة في فتـرات ذبـول الدين وتراجع تأثيره، كما في الثورة البلشـفية التي خلفت ملايين القتلى، ولا يمكننا نسيان أثر قوانين الانتخاب الطبيعي الداروينـي الـذي ألهم هتلر أفضلية العرق الجرمانـي، فآمن بضرورة الحـرب العالمية تحقيقاً لهـذا المبدأ المريـع: البقاء للأصلح، وارتكب أشـنع مجازر الإبادة الجماعية.

واليـوم وبعـد عقود مـن تجـارب الإلحـاد والمادية يستشـعر عقـلاء العالـم فداحـة الخطـر المحـدق بالبشـرية، ففاتورة العيش بلا إيمان باهظة، وتزداد كلمـا تلكأنا في التصدي لهذه الظاهرة، وقد آمنوا أن مـا بينهـم من اختلافـات دينية عميقـة لا يمنع من تنسيق الجهود والتعاون والتآزر في نصرة مشتركات الإيمان العامة.

وفي هذا السـياق عقـدت رابطة العالم الإسـلامي في الربـاط المؤتمر الدولـي «الإيمان في عالـم متغير» بالتعـاون مع الرابطة المحمدية، بحضور اسـتثنائي جسد أهمية الدين ودوره المحوري في توجيه الحياة العامـة، واستشـعر المشـاركون فيه مسـؤولياتهم المشـتركة تجاه التحديات العالمية، وسعيهم الجاد نحو مسـتقبل أفضل مستلهَم من سماحة التعاليم الدينيـة التي تدعـو إلى تعزيـز العـدل الاجتماعي، واحتـرام الكرامـة الإنسـانية، وحمايـة البيئـة التي نعيـش فيهـا، وصيانة المثـل الإنسـانية التي أكرم الخالـق بها الإنسـان وجعلها جوهر وجوده، فالشـكر للرابطتيـن على هذه المبادرة التي سـتمثل خطوة مهمة في مستقبل أفضل لعالمنا الجميل.

المشاركون في

المؤتمر الدولي: «الإيمان في عالم متغير»

يشيدون بإنشاء مرصد دولي لمواجهة شبهات الإلحاد

الرباط: عبدالله حسين

أشاد عدد من المشاركين في المؤتمر الدولي: «الإيمان في عالم متغير»، الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع الرابطة المحمدية للعلماء بالمملكة المغربية، بأهمية إصدار التوصيات الختامية للمؤتمر، والتي تضمّنت الإعلان عن تأسيس المرصد الدولي لدلائل الإيمان ومواجهة الشبهات، كهيئة إنسانية إيمانية متخصصة، وسطَ مشاركة واسعة من شخصياتٍ دينيّةٍ وفكريّةٍ عالمية.

مثمنين ما جاء في أعمال المؤتمر من تركيز على أهمية مركزية الدين في قيام الحضارات وازدهارها، وأثره في صياغة أفكار المجتمعات وتقويمها، وقدرته على مواجهة المشكلات ومعالجتها، محذرين من أنّ تهميش دور الدين في الاهتداء الروحي والإرشاد العقلي يفتح الباب واسعًا أمام مظاهر الفوضى الأخلاقية.

متطلبات المرحلة

أشاد معالي الأستاذ الدكتور سامي الشريف، الأمين

الشريف: تدعم رابطة الجامعات الإسلامية المرصد الدولي لمتابعة ظاهرة الإلحاد وسبل مواجهتها

العام لرابطة الجامعات الإسلامية، بالمستوى المميز الذي خرجت به وثيقة الرباط ومحتواها الذي تم إجادة صياغته مع متطلبات المرحلة، ليعم بمبادئها الخير والسلام على الإنسانية، فهذه الوثيقة تأتي مكملة لمنظومة العقد مع ما أطلقه معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، ك(وثيقة مكة، ومبادرة بناء الجسور)، في وقت نحن في أمس الحاجة إلى تطبيقها في عالم الواقع، كما أشاد معاليه بالمبادرة القيمة التي أطلقها معالي الشيخ العيسي في المؤتمر بتدشين مرصد دولي لمتابعة ظاهرة الإلحاد وسبل مواجهتها، مؤكداً دعم رابطة الجامعات الإسلامية للمبادرة، واضعاً كافة إمكانياتها لتحقيق أهدافها.

وأثنى معاليه على ما تميز به المؤتمر من حيث الحضور والمشاركات التي عُرضت، فلقد أحسن المنظمون اختيار موضوع المؤتمر (الإيمان في عالم متغير)، ولا شك أن ما يشهده عالمنا المعاصر من تطورات متسارعة اجتماعياً وسياسياً وتكنولوجياً، حملت معها تحديات كبرى أثرت على منظومة القيم والأخلاق التي طالما حكمت الإنسان منذ فجر التاريخ.

وأوضح الشريف: لقد أثبتت تجارب التاريخ أن ثمة علاقة ارتباطية بين الإنجازات المبهرة التي تحدث في مجال التكنولوجيا والخطاب الأخلاقي والقيمي، فكلما زادت نجاحات وإنجازات البحث العلمي تطور الجانب الأخلاقي لتحديد مواقف المجتمعات المختلفة منها، وفي مراحل الازدهار العلمي والبحثي يزداد الحضور القوي للخطاب الأخلاقي والقيمي لتحديد مدى التزام البحث العلمي بالمعايير الأخلاقية.

وأضاف: لما كانت الأخلاق والقيم هي الدرجة الأكثر تعبيراً عن الفكر الديني دار جدل طويل حول تأثير تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي على الأديان، وثار تساؤل مهم: هل سيكون الذكاء الاصطناعي محفزاً للأديان أم مهدداً لها؟، وألقت تقنيات تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي بظلالها الكثيفة على الممارسات الدينية التي يقوم بها أتباع مختلف الشرائع السماوية والوضعية على حد سواء.

واعتبر الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية أن «الهوية الدينية» والانتماء العقدي للشباب والمراهقين يواجهان اليوم تحديات جسيمة، حيث تدل العديد من الدراسات التي أجريت في مختلف المجتمعات على حدوث تصدع كبير في المعتقدات الدينية لقطاع كبير من الشباب بسبب إدمان استخدام شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وربطت تلك الدراسات بين إدمان الإنترنت وتقلص الوازع الديني، ومن هنا فإن قضية «الإيمان» تواجه تحديات كبرى وخاصة في أوساط الشباب بسبب التطورات التكنولوجية الرهيبة التي يشهدها العالم.

وثيقة تاريخية

أكد الدكتور محمد المنتار عضو اللجنة العلمية والتنظيمية بالمؤتمر، والأستاذ بكلية الآداب

المنتار: لقد توَّج المؤتمر فعالياته بإصدار وثيقة تاريخية تحت مسمى «وثيقة الرباط»

والعلـوم الإنسـانية بالمحمديـة، وعضـو هيئـة التدريس بجامعة الحسـن الثاني بالدار البيضاء، أن المؤتمر جـاء تعزيزاً للمبـادرات الإيجابية والبانية، ولا سـيما في ظـل سـياق إقليمـي ودولي مشـحون ومتوتـر على مختلـف الأصعدة. فقـد التأمت إرادة الرابطـة المحمديـة للعلمـاء في المملكـة المغربية مـع رابطـة العالـم الإسـلامي في المملكـة العربيـة السـعودية، علـى تنظيـم مؤتمر دولـي في موضوع: «الإيمـان في عالـم متغيـر»، مؤتمر كان من حُسْـن يُمنه، أن سـربله بكرم رعايته السامية جلالة الملك محمد السادس -نصره الله وأيده- بالعاصمة الرباط.

وقـال: لقـد تـوّج المؤتمـر فعالياته بإصـدار وثيقة تاريخيـة، تحـت مسـمى: «وثيقـة الربـاط: الإيمان في عالـم متغيـر»، من أبـرز ما جاء فيهـا الإعلان عن تأسـيس «مرصد دولي متخصـص في دلائل الإيمان ومواجهة الشـبهات»، ليكون هيئة إنسـانية إيمانية رائدة، تعنى بترسيخ مبادئ الإيمان وتعزيز قيمتها الأخلاقيـة، مـع رصد الشـبهات المثـارة والأجندات المشـبوهة للفوضى التحررية، والعدمية الإلحادية، والعبثية المجتمعية.

وأضاف المنتار: يندرج هذا المؤتمر المبارك في إطار الاهتمـام الإيجابيّ الذي تُوليـه الرابطتان المباركتان بالمتغيّـرات المسـتجدّة في القضايـا المعاصـرة، والتـي تتطلّـب اسـتجلاء أفضـل السّـبل الممكنة، لتهيئـة المنـاخ الملائـم لبـثّ الإيمـان وتجديده في النّفوس، وصياغة الأُطر الفكريّة الرّشيدة للتّحصين من الأفكار السـلبيّة، قصد التعاطـي البنّاء مع هذه المتغيّرات، جلباً لمنافعها، ودرءاً لمفاسـدها، وذلك بتعـاون بين المختصّين من أصحـاب العلم والفكر والرّأي، لتقديـم المقاربات والمقترحات الميسّـرة لذلك.

وأوضـح عضـو اللجنـة العلمية بأنه دارت أشـغال المؤتمر حول خمس جلسات، ناقشت الأولى الإلحاد في السـياق المعاصر: عرض ونقد؛ والجلسـة الثانية ناقشـت الإيمان في ضوء التكنولوجيـات المعاصرة: الرهانـات والتحديات؛ وفي الجلسـة الثالثة ناقشـت الطفـرة الرقمية وظهور المؤثرين الجدد في التدين؛ وفي الجلسـة الرابعـة تم مناقشـة مكانـة النظريات الفلسـفية والمعرفية في تشكيل المفاهيم والتاريخ والحضـارة؛ واختتـم المؤتمـر بالجلسـة الخامسـة وناقشـت البنـاء الإيمانـي.. الواقـع والاستشـراف؛ إضافة إلى ثلاث ورشـات علمية متخصصة مفتوحة اختياريا للسادة الباحثين في المؤتمر، بهدف الوقوف على سـلامة وضبط ودقة وفاعليـة مناهج وطرائق التجسير بين الفكر والواقع من خلال تنزيل ثمرات ما سلف في الجلسات/ المحاور، وحتى تفي الورشات بهذا المقصد الكلي.

منصة عالمية

اعتبر الأستاذ الدكتور محمد عثمان الخشت، رئيس جامعـة القاهـرة السـابق مؤتمر: «الإيمـان في عالم متغيـر»، الـذي انعقـد في المملكـة المغربية تحت الرعايـة السـامية لصاحـب الجلالـة الملـك محمد السادس، حدثًا فكريًا بارزًا لتعزيز الحوار بين الأديان والعلم لمناقشـة التحديات الراهنـة، بالتعاون بين رابطة العالم الإسلامي والرابطة المحمدية للعلماء، وقـدم المؤتمـر منصـة عالميـة ضمـت نخبة من المفكريـن والعلمـاء لمناقشـة التأثيـرات العلمية والتكنولوجية والاجتماعية التي تواجه الدين والإيمان في العصـر الحالي. ولقد سـلط المؤتمر الضوء على كيفية توظيف القيم الدينية لمواجهة التحولات التي يشهدها العالم على مختلف الأصعدة.

وأضـاف: يأتـي المؤتمـر في وقت يشـهد العالم فيه تسـارعًا كبيـرًا في التقـدم العلمـي والتكنولوجـي، وهـو ما يثير تسـاؤلات حـول الدور الـذي يمكن أن يلعبـه الديـن في مجتمع اليوم. ومن خلال جلسـاته المتعـددة، تطـرق المؤتمـر إلـى قضايـا محوريـة مثـل الإلحاد وتأثيـر التكنولوجيا علـى الفكر الديني والمتدينيـن. وركـز النقـاش علـى ضـرورة تجديد الخطاب الديني ليتماشـى مـع المتغيرات الحديثة، دون المساس بجوهر الإيمان.

ولا شـك أن هذا النوع من الحوار يساعد على تعزيز التفاهـم بيـن العلـم والديـن، ويحد مـن الموجات الإلحادية، كما يمهد الطريق لإيجاد حلول مسـتدامة للتحديات المشتركة التي تواجه المجتمع العالمي.

وأشـاد الدكتور الخشـت بالكلمة الافتتاحية لمعالي

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، حيث جاءت الكلمة شاملة وتأطيرية وأكـدت ضرورة تعزيز الإيمان في مواجهة الإلحـاد وأيضا مواجهة التطورات الفكرية المعاصرة من خـلال تجديد الخطـاب الديني، مـع الأخذ بعين الاعتبار قيم الحوار والتعاون والتسامح والتعايش.

ولفـت الخشـت إلـى الـدور الهـام لرابطـة العالـم الإسلامي والمحوري في تنظيم المؤتمر، حيث أكدت علـى التزامهـا بتعزيز الحـوار بين الأديـان والعلم، ودعت إلـى مواجهة التحديات الفكريـة المعاصرة، مثـل الإلحـاد والتطـرف الفكـري، مـن خـلال رؤى معتدلة ووسـطية. ونجحـت الرابطة في اسـتقطاب الشـخصيات الدينيـة والفكريـة مـن مختلـف دول العالـم، ممـا أضفى طابعًـا دوليًا للمؤتمر وأكسـبه أهميـة خاصـة. كما سـاهمت في تقديـم مقترحات تهـدف إلـى تطويـر الخطـاب الديني ليتماشـى مع متطلبـات العصـر، مع الحفـاظ على قيم التسـامح والتعايش والاحترام المتبادل.

وأكـد الخشـت تسـليط المؤتمـر الضوء علـى دور الإيمان كقوة دافعة للتغيير الإيجابي في المجتمعات، مع التركيـز على ضرورة مواجهـة التطرف والإلحاد مـن خـلال التسـامح والحـوار البنّـاء. كمـا شـدد المشـاركون علـى أهميـة اسـتغلال التكنولوجيـا لتعزيـز التواصل بين الشـعوب، ودعوا إلى ضرورة مراجعـة الخطـاب الديني بشـكل مسـتمر لضمان مواكبتـه للتحديات المعاصـرة. وأكد المؤتمر على ضـرورة التعاون بيـن العلم والتكنولوجيـا والأديان والثقافـات لمواجهة التحديات المشـتركة، والعمل نحـو بنـاء عالم يسـوده الإيمان والسـلام والتفاهم، تحت مظلة القيم الإنسـانية المشتركة التي تسعى رابطة العالم الإسلامي إلى ترسيخها في المجتمعات العالمية المتغيرة.

رؤية متنورة

وأشـار الدكتـور رضـوان اعميمي، الأسـتاذ بجامعة محمـد الخامس بالربـاط إلى ما شـهدته العاصمة الربـاط مـن فعاليـات علمية متميـزة، وذلك تحت الرعايـة السـامية لجلالـة الملـك محمد السـادس -نصره الله- من تنظيم مؤسسـتين لهما رمزيتهما وأدوارهمـا على مسـتوى التأطيـر العلمي والديني المعتدل والمتنور؛ رابطة العالم الإسلامي والرابطة المحمدية للعلماء.

وأضـاف أن الإيمـان في عالم متغير عنوان بسـيط في تركيبتـه ولكن حمولتـه وراهنيته متناهية الأهمية، بالنظر لما يعيشه عالمنا اليوم من تحولات وتقلبات متسـارعة وغير قابلـة للضبط والتنبـؤ، تحتاج أكثر مـن أي وقـت مضـى لاسـتحضار القيـم والمبادئ الإيمانيـة التـي تسـمح للشـعوب والمجتمعـات بالعيـش المشـترك، وقبـول الاختـلاف، والاحتـرام المتبادل للمعتقدات الدينية والثقافية.

الخشت: ضم المؤتمر نخبة من العلماء لمناقشة التأثيرات العلمية والتكنولوجية التي تواجه الدين

وأكـد اعميمـي بأنـه تنـاوب على منصـات النقاش علمـاء أجلاء وباحثون مرموقون من مختلف الدول والديانات والثقافات، جمعهم النقاش حول إشكالات معاصـرة لفهـم التأثيـرات الكائنـة والمحتملـة علـى الإيمـان الفـردي والجماعي والسـبل الكفيلة بتحصيـن الإنسـان مـن مظاهـر التطـرف في جميع تجلياتـه واتجاهاته، فكانت مقاربـة موضوع الإلحاد حاضـرة بجـرأة وبمقاربـة علميـة وشـرعية، تقنع وتقتنـع بأهميـة الإيمـان في الحفـاظ علـى الكيانات الفرديـة والجمعية، إيمان قـادر على رفع التحديات التـي تفرضهـا التكنولوجيـا المعاصـرة والتحولات الميتافيرسـية التي فرضت منطقاً جديداً في التأثير الدينـي على الشـباب الـذي أصبح مهـدداً أكثر من أي وقت مضى، ولذلك فاسـتحضار البعد الفلسفي والمعرفي يظل رهانـاً حقيقياً في عصرنا هذا لتحقيق البناء الإيماني المطلوب والمتوازن.

واختتـم اعميمـي قائـلاً: لقـد تفرع عـن النقاش في الموضـوع طيلـة يوميـن صـدور «وثيقـة الرباط» التاريخيـة بمقاربتها ومضامينهـا ومخرجاتها والتي سيكون لها ما بعدها، وقد أسهمت الرعاية السامية التي حظي بها المؤتمر من قبل جلالة الملك محمد السادس وبما يحظى به من مكانة متميزة واحترام ومصداقيـة على الصعيد الدولي وانخراط مسـتمر لفائدة قضايا السلام والتسامح الديني، في إعطاء هذا المؤتمـر زخماً علمياً وإعلاميـاً كبيراً يتلاءم وأهمية الإيمان في عالمٍ متغيّرٍ.

على هامش أعمال المؤتمر الدولي: «الإيمان في عالمٍ متغير»..

وزير الأوقاف المصري السابق:

التحصن بالإيمان يحمي الفرد والمجتمع والأمة

حوار: عبدالله حسين

إننا في حاجة ملحة لترسيخ الإيمان بالله في نفوس شباب يفزعهم هول ما يرون من جبروت عدو متغطرس يعيث فساداً في بعض بلادنا، لا يثنيه عن سفك الدماء وصرخات النساء والأطفال شيء، مع عدم إدراك كثير من هؤلاء الشباب لسنن الله الكونية في الابتلاء والاختبار من جهة، وضرورة التوازن بين قوة الإيمان وقوة الأخذ بالأسباب من جهة أخرى، فالمؤمن القوي هو الكيس الفطن الذي يأخذ بأسباب القوة الشاملة إيمانًا وإعدادًا واستعدادًا.

بهذه الكلمات ابتدأ معالي الأستاذ الدكتور محمد مختار جمعة وزير الأوقاف المصري السابق، عضو المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي، حواره مع مجلة (الرابطة) على هامش أعمال المؤتمر الدولي: «الإيمان في عالم متغير»، الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع الرابطة المحمدية في العاصمة المغربية الرباط.

- معالي الوزير.. كيف ترون أهمية المؤتمر والموضوعات التي ناقشها في ظل الظروف الراهنة التي تعيشها الأمة؟

بداية أتوجه بكل الشكر والتقدير لمعالي الأخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، على الدعوة الكريمة لحضور هذا المؤتمر المهم في موضوعه خاصة ونحن في وقت أحوج ما نكون فيه لرابطة إيمانية وإنسانية ووازع إيماني وإنساني يكف غلواء يد بعض البشر عن الفتك ببعض، مما يتطلب عملاً دؤوباً لإيقاف الحروب حقنًا للدماء ومنعًا لاستهداف وقتل النساء والأطفال بلا وازع من دين أو ضمير إنساني حي في عالم يجنح نحو شريعة الغاب وتأصيل نظرية البقاء للأقوى، مما قد يفتح باباً لصراعات تسلح وحروب واسعة لا تبقي ولا تذر ما لم يتدارك ذلك حكماء الإنسانية.

- ما الذي نحتاجه من أجل الصمود أمام الحملات التي تتعرض لها الأمة في عالم لا يستمع إلا لصوت القوي؟

لا شك أننا في حاجة إلى وازع إيماني يعين المنكوبين على الثبات على دينهم وأرضهم من جهة وعلى تحمل الصدمات والنكبات القاسية من جهة أخرى، إذ لا قوة سوى الإيمان بالله عز وجل يمكن أن تخفف من آثار تلك الويلات المميتة للنفوس قبل الأجساد، كما أننا في حاجة ملحة لترسيخ الإيمان بالله في نفوس شباب يفزعهم هول ما يرون من جبروت عدو متغطرس نتيجة عدم إدراكهم لسنن الله الكونية المتوازنة بين قوة الإيمان وقوة الأخذ

الدين والدولة يدفعان إلى العمل والإنتاج.. ويطاردان الإرهاب والإفساد

بالأسباب، وأن المؤمن القوي هو الذي يأخذ بكل أسباب القوة الشاملة إيماناً وإعداداً واستعداداً.

- معاليكم.. ما الدور الذي يقوم به الإيمان ليكون صمام أمان للفرد والمجتمع؟

ثمة أهمية بالغة تبرز للدين كصمام أمن للفرد والمجتمع، فقد أكدت فطرة الله التي فطر الناس عليها أهمية الدين في إصلاح المجتمع، حيث يقول الحق سبحانه: {فِطْرَت الله الّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}، ويقول تعالى: {كَانَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النّبِيّينَ مُبَشّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إلّا الّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى الله الّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقّ بِإِذْنِهِ وَالله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم}، وعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيّ، أَنّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنّ رَبّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمّا عَلّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلّهُمْ، وَإِنّهُمْ أَتَتْهُمُ الشّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا».

فالشرائع السماوية إنما جاءت لسعادة البشرية، والمصالح العليا للأديان إنما تعمل في ضوء جلب المصلحة أو درء المفسدة أو على تحقيقهما معًا، والمصالح العليا للشرائع قائمة على حفظ الدين والوطن والنفس والعقل والمال والعرض، فكل ما يؤدي إلى حفظ هذه الكليات فهو مصلحة وكل ما يضر بها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة.

يقول العز بن عبد السلام (رحمه الله): «لا يخفى على عاقل أن تحصيل المصالح المحضة، ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمودٌ حسنٌ، وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمودٌ حسنٌ، وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها محمودٌ حسنٌ، وأن تقديم المصالح الراجحة على المرجوحة محمودٌ حسنٌ، وأن درء المفاسد الراجحة على المصالح المرجوحة محمودٌ حسنٌ»، وقد اتفقت الشرائع على تحريم الدماء، والأعراض،

والأمـوال، وعلـى تحصيـل الأفضـل فالأفضـل مـن الأقوال والأعمال.

- ما دور الإيمان في تحقيق مصالح الأوطان؟

لا بد أن نعلم أن مصالح الأوطان من صميم مقاصد الأديـان، وأن الحـر الشـريف يفتـدي وطنه بنفسـه ومالـه وكل مـا يملـك في ضوء مـا ينظمـه القانون والدستور في كل دولة، فكل ما يسهم في قوة الوطن ورقيـه وتقدمـه وحفـظ أمنـه وأمانـه هـو مطلـب شـرعي ووطني وحياتي وإنسـاني. وهـذا ما يؤكده كثير من علماء الأديان والمفكرين والفلاسـفة على أهمية الإيمان في تشـكيل الهوية والقناعات الوطنية والحفـاظ على الأوطان، وأن ضعف أو خفوت الإيمان يشـكل خطـراً على ذلـك، وقد يفتـح أبوابـاً خطيرة للنكوص عن الوفاء بحق الوطن أو حتى موالاة بعض أعدائه.

ومن المؤكد بأنه لم تسقط أمة ولا دولة عبر التاريخ الإنسـاني إلا كانـت الخيانـة من بعض المنتسـبين إليها أحد أهم عوامل سـقوطها، ونحذر من موجات الإلحـاد الموجـه ولا سـيما نحـو الأمـم والشـعوب المتحصنـة بإيمانهـا، ولا شـك أن التسـلح بالإيمان والتحصن به يشـكل حصناً حصينا للفرد والمجتمع والأمة من كل ذلك.

- هـل يوجـد تناقض بيـن تحقيق الديـن وتأصيل المواطنة والأخوة الإنسانية؟

علـى العكـس تمامـاً فإن مقتضـى الإنسـانية ومن الفطـرة السـليمة التـي فطـر الله النـاس عليها أن الديـن والإيمان يحققان المواطنـة الحقة، ويؤصلان ويرسـخان للقيم الإنسـانية العامة، ولهـذا قال ابن عبـاس (رضـي الله عنهمـا) عـن قولـه تعالـى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْـرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُـمْ وَإِيَّاهُـمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَـا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَـا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِـي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُـمْ وَصَّاكُـمْ بِهِ لَعَلَّكُـمْ تَعْقِلُـونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُـدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْـطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًـا إِلَّا وُسْـعَهَا وَإِذَا قُلْتُـمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ الله أَوْفُوا ذَلِكُـمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَـبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِـهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: «هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب، وهي

الحُر الشريف يفتدي وطنه بكل ما يملك في ضوء ما ينظمه القانون والدستور

محرمات على بني آدم جميعًا، وهن أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار».

فالديـن والدولـة لا يتناقضـان؛ بـل يرسـخان معًـا أسـس المواطنـة المتكافئة في الحقـوق والواجبات، وأن نعمـل معًا لخيـر بلدنا وخير النـاس أجمعين، وأن نحـب الخيـر لغيرنا كما نحبه لأنفسـنا، الأديان رحمـة، الأديـان سـماحة، الأديـان إنسـانية، الأديان عطاء. فالدين والـدولـة يتطلبان منا جميعًا التكافل المجتمعـي، وأن لا يكون بيننـا جائع ولا محروم، ولا عارٍ ولا مشرد ولا محتاج.

كمـا أن الديـن والدولة يدفعان إلـى العمل والإنتاج والتميـز والإتقـان، ويطـاردان البطالـة والكسـل، والإرهـاب والإهمال، والفسـاد والإفسـاد، والتدمير والتخريب، وإثارة القلاقل والفتن والعمالة والخيانة.

وهكـذا نجد أن الدين الحقيقي يرسـخ لمبدأ الأخوة الإنسـانية وأن الإنسان أخو الإنسان لا يظلمه بسفك أو اسـتباحة دمه أو ماله أو عرضه أو أرضه، فالأديان كلها تحرم الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل ناهيك عن قتل النسـاء والأطفـال مما يجعلنا نؤكد أننا في حاجة ماسـة إلى إيمان راسـخ بالله عز وجل يعصمنا من الزلل في عالم يموج بالتحديات الجسام.

وفي هـذا الصـدد لا يفوتنـي أن أشـيد بجهـود كل مـن جمهوريـة مصـر العربيـة والمملكـة العربية السـعودية الشـقيقة في العمـل معـا علـى إحـلال السـلام العادل والشـامل في المنطقـة والعالم، كما أشيد بجهود أزهرنا الشـريف وإمامه الأكبر الأستاذ الدكتـور أحمـد الطيب شـيخ الأزهر، وجهـود رابطة العالم الإسلامي وأمينها العام معالي الدكتور محمد بـن عبـد الكريـم العيسـي، في العمل على ترسـيخ أسس الأخوة الإنسانية وإحلال لغة السلام محل لغة الاحتراب والاقتتال والخراب والدمار في العالم كله.

المجامع الفقهية

وصناعةُ الحلول الشرعية

بقلم: د. أحمد عبد القيوم - مكة المكرمة

امتـنّ الله تعالى على المسـلمين بشـريعة خالدةٍ إلـى آخر الزمان، جـاءت محققةً لمصالـح العِباد في المعـاش والمعاد، مراعيـة للتيسـير ورفْع الحرج في بنـاء الأحكام، مشـتملةً على نصـوص ذات عِلل معقولة ومقاصد جامعة، يسـتند إليها المجتهدون في اسـتنباط الضوابط والكليات؛ لاستخراج المسائل وتفريع الجزئيات، فيما يستجدّ للناس من الأقضية والواقعات.

وهذا ما مَيّز الشـريعةَ الإسـلامية عن الشرائع التي سـبقَتها، فأكسـبَها صفة الخلـود والبقـاء، وأعطاها الصلاحيـة لكل زمـان ومـكان، لتعُمّ بهَديهـا الأفراد والمجتمعـات، ومنَحَهـا المرونـة والحيَويـة علـى التكيّـف مـع المتغيّـرات، والاسـتجابة للمتطلّبات، ومكّنهـا من مواكبـة التطـوّرات، وتلبيـة الحاجات، والقـدرة علـى اسـتيعاب المسـتجدّات، ومعالجـة المشـكلات في كافّة البيئات، بما حوتْه من مضامين جامعـة وتعاليـم شـاملة لجميـع مناحـي الحيـاة وتفاصيلها، ضمن منظومة متكاملةٍ لحراسة كلّ ما يتعلق بالإنسان والكون والحياة، كما قال الله تعالى: «ونزّلْنا عليـكَ الكتابَ تبيانًا لكلّ شـيء»، وكما قال الإمام الشـافعي: «فليست تَنزلُ بأحد من أهل دين

الله نازلةٌ إلا وفي كتاب الله تعالى الدليلُ على سـبيل الهُدى فيها».

وقال ابن تيمية وهو يقرر شـمول النصوص العامة للأحكام: «إن الله بَعث محمدا صلى الله عليه وسلم بجوامـع الكلِـم، فيتكلّم بالكلمـة الجامعـة العامّة، التـي هي قضية كليـة وقاعدة عامة، تتنـاول أنواعًا كثيـرة؛ وتلك الأنواع تتناول أعيانًـا لا تُحصى؛ فبهذا الوجه تكون النصوص محيطةً بأحكام أفعال العباد». (مجموع الفتاوى ٢٨٠/١٩).

إن شـريعة الإسـلام الخالدة هي الضامنـة لمصالح العِبـاد كلّها، رغْم كثرة التحدّيـات وتتابع التحوّلات، وتَبـدّل الظـروف وتقلّـب الأحـوال، فمرونتهـا وواقعيتها تتواءم مع المستجدّات العصرية، وتُقدّم الحلـولَ للنـوازل والمتغيرات العالَميـة، في ميادين العبـادات والمعاملات والأحوال الشـخصية، وصولاً

إلى المعارف العلمية والتقنية والمشكلات الفكرية والثقافية؛ مراعيةً ما يكتنف عالمُنا من متغيّراتٍ وأحداثٍ متسارعة فرضَت نفسها على ساحة العصر، وباتت جُزءًا من حركة الحياة الراهنة.

ومن هنا، كان لزامًا على العلماء الراسخين من الفقهاء والمجتهدين -بفضل ما منَحَهم اللهُ من عِلم وحكمةٍ وبصيرة- أن يَبذُلوا غاية وُسْعهم وجُلّ عنايتهم في تناوُل المسائل المعاصرة والنوازل المتجددة، ودراستها وفهْمها وتصوُّرها وتحريرها، مع التكييف الفقهي لها في اعتدال وتوازُن، يراعي المصالح ويحقق المقاصد ويعزّز القيَم، ويتناغَم مع وسطية الإسلام ورحمته؛ بغية الوصول إلى حُكم الشرع فيها، بعد ضبْط المسائل بالدلائل والفروع بالقواعد، والأحكام بالمقاصد، مُلتزمين في ذلك بمناهج أهل العِلم المعتبرين ومذاهب الأئمّة المجتهدين، وفقَ رؤيةٍ كُلّية متكاملةٍ للدين، تحافظ على الثوابت الشرعية، وتُراعي الفروقات والمتغيرات، وتستشرف العواقب والمآلات، ولا تَغفل الملابسات والمتعلقات، وفي كل ذلك ما يقتضي تجديد النظر وإعمال الفكر في منهجية التطبيق الفقهي وبناء التأصيل العلمي، انطلاقاً من روح الشريعة الغَرّاء؛ وما ينبثق عنها من سماحة وعدل ورحمة؛ لينالوا بذلك الشرَف العظيم الذي ذكَره الله تعالى في قوله: «ولَو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلِمه الذين يستنبطونه منهم»، ويحظَوا بالخيرية التي بشّرَ بها النبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله: «مَن يُرد الله به خيرًا يفقّهْه في الدِّين».

وهذا ما تُحقّقه حاليًا -ولله الفضل والمنّة- المجامعُ الفقهية المختلفة؛ فإنها تُعَدّ من البيئات العلمية التي يتدارس فيها الفقهاءُ الكرام باجتهاد جماعيّ القضايا الحديثة والمشكلات الطارئة، ويبحثون

الحلول الشرعية لها، تلبيةً لحاجة الأمّة الإسلامية إلى معالجة اجتهادية موثوقةٍ لقضاياهم المستجدة، وذلك بنظر عميق وبحثٍ رصين وانفتاح متوازن على ثورة المعلومات، مع الاستعانة بالخُبراء والمتخصصين، وَفقَ منهجيةٍ علميةٍ منضبطةٍ ورؤيةٍ فقهية متكاملة؛ تقوم على تحقيق التلاقي الفكري والتكامُل المعرفي بين مختلف فقهاء المذاهب الإسلامية، مستنِدين إلى قوة الدليل وإرادة الخير ومراعاة المصلحة ودفْع المفسدة واستحضار القِيم والمقاصد، في مُداولاتٍ عِلْمية ودراساتٍ مُعمّقة ومناقشاتٍ مستفيضةٍ حول النصوص والآثار الشرعية؛ فهماً وتنزيلاً، وتنظيراً وتفعيلاً، ومُوازنة وترجيحاً، وصولاً إلى بناء علاقة تكامُلية تَجمَع بين تصوّر الوقائع والتكييف الفقهي لها على جادّة الفقهاء تخريجاً وتنقيحاً وتحقيقًا للمناطات، راجين أن تكونَ اجتهاداتُهم نِبراسًا ينيرُ طريقَ المسلمين، ويحقّق سعادتهَم، والتزامَهم بدِينهم وشرْع ربّهم.

ومن تلك المجامع الفقهية في الوقت الحاضر: المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، ومجمع البحوث الإسلامية في مصر، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، ومجمع الفقه الإسلامي بالهند، ومجمع الفقه الإسلامي بالسودان، والمجمع الفقهي بالعراق، ومجمع فقهاء الشريعة بأمريكا.

إن وجود هذه المجامع وقيامَها برسالتها وأداءها لواجباتها ونهوضها بوظيفتها يُعدّ من المُنجزات العلمية الحضارية المعاصرة، وتَعكس وجْهاً مُشرقاً للفقه الإسلامي وتفوّقه وإبداعه، وأنه قادرٌ على الوفاء ببيان الحُكم الشرعي في مختلف مجالات الحياة التي تواجه المسلمين، وهي بذلك تُثبت تمامَ هذا الدين وكمالَه وإتمامَ النعمة به على هذه الأمّة، كما قال الله تعالى: «اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً»، «فلا يُحتاج مع الإسلام إلى زيادة أبدا، وقد أتمّه الله فلا يُنقصه أبدا، وقد رضيه الله فلا يَسخطه أبدا»، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية الكريمة.

كما أن هذه المجامع الفقهية بما تَحمِله من مسؤولية وأمانة، وما تتصدّى له من مهمّات طارئة ومعالجة تحدّياتٍ راهنة تدلّ دلالة أكيدةً على خيرية هذه الأمّة وعافيتها، وأنّها ستظل بإذن الله أمينةً على شَرع الله سبحانه، محافظةً على أحكامه وتعاليمه، ثابتةً على منهاجه، حريصةً على تطبيقه والسير وَفق هُداه، وهي بتمثيلها الشامل لشعوب الأمّة الإسلامية تُجسّد وَحْدة هذه الأمّة وتضامنها واعتزازها بثوابتها، ممثّلةً باجتماع علمائها الربّانيين وفقهائها الراسخين على حِفظ الشريعة وحراسة مقاصدها وبيانها للعالمين.

وهـذا المعنـى الجليـل أشـارت إليـه (وثيقـة مكة المكرمـة) التاريخية التـي اعتمدَها إجماع أكثر من (١٢٠٠) عالِـم ومفكّـر ومفـتٍ من مختلـف المذاهب الإسـلامية، وحظيَت بتأييد عالَميّ، بعد أن تشـرّفَت برعاية كريمة وتأييد حكيم من لدُن خادم الحرمين الشـريفين الملك سـلمان بن عبـد العزيز -يحفظه الله-، وبمـؤازرةٍ ودعْم من سـموّ ولي عهده الأمين، صاحـب السـمو الملكـيّ الأمير محمد بن سـلمان بـن عبد العزيز آل سـعود يحفظـه الله، حيث أكّدت الوثيقـة في بندها التاسـع والعشـرين أنـه: «لا يُبْرِمُ شـأنَ الأمّة الإسـلامية، ويتحدّثُ باسـمها في أمرها الدينـيّ، وكلِّ ذي صلة به إلا علماؤها الراسـخون في جَمع كجَمع مؤتمر هذه الوثيقة، وأن العمل الديني والإنسـاني المشترك الهادف لمصلحة الجميع يُلزم تشارُك الجميع دون إقصاء أو عنصرية أو تمييز».

وقـد صدَر أمْـر ملكـيّ كريـم في المملكـة العربية السـعودية بتأكيد مكانَة المجامـع الفقهية وأهمية رسـالتها المجتمعيـة، حيث جـاء فيه ما يلـي: «إنّ تبايُـن أقوال أهـل العلـم يتعيّن أن يكـون في نطاق هيئاتهـم ومجامعهـم العلمية والفقهيـة، ولا يُخرج للناس ما يفتنهم في دينهم، ويشـكّكهم في علمائهم، فالنفـوس ضعيفـة، والشُّـبَهُ خطّافـةٌ، والمُغـرضُ يترقّبُ، وفي هذا من الخطورة ما نُدرك أبعادَه وأثرَه السـيئَ علـى المـدى القريـب والبعيد، علـى ديننا ومجتمعنا وأمْنِنا».

ويَجـدُر بالذكر هنا أنّ المَجمع الفقهي التابع لرابطة العالـم الإسـلامي يأتـي في مقدّمـة هـذه المجامـع تاريخاً. وقد تولـى المَجمع خلال عُمره الذي يقارب نصـف قرن مـن الزمان، عقـدَ الكثير مـن الدورات الفقهية، بلغَـت (٢٣) دورة، اسـتعرَضَ فيها الكثير من المسـائل المسـتجدّة والنـوازل الحادثة، وبيّنَ الحُكمَ الشرعيّ فيها، ضمن قراراتٍ وبيانات رسمية أصدرَها في هذا الشـأن، بلغَت ما يقارب (١٤٠) قرارًا، إضافـة إلـى عدد من الإصـدارات العلمية، لا سـيما المجلـة الفقهية المحكّمة، والتـي كان آخرها العدد رقم (٤٢).

والمجمع -بفضل الله- يواصل نشاطه البحْثي وحِراكه العلمـي في تبيان الأحـكام الفقهية وتقديـم الحلول الشـرعية الناجعـة لعـدد مـن القضايـا المعاصرة، وذلـك من خـلال مؤتمراته وندواتـه الدولية، وكان آخرها الاجتماع المبارك الذي عقَده المَجمعُ مؤخّرًا في رحـاب العاصمة السـعودية (الريـاض) في الدورة الثالثة والعشـرين، عام (١٤٤٥هـ)، برئاسـة سماحة مفتـي عـام المملكـة العربيـة السـعودية، رئيـس مجلـس المجمع، الشـيخ عبـد العزيز بـن عبد الله آل الشـيخ، وبحضـور معالـي الأمين العـام لرابطة العالم الإسـلامي، رئيـس هيئة علماء المسـلمين، نائـب رئيـس المجمع، الشـيخ الدكتـور محمد بن عبـد الكريـم العيسـى، والـذي أكّـد في كلمتـه أن هـذا المَجمـع هـو أقـدمُ مجمـع فقهـيّ في التاريخ الإسلامي، وأنه حظيَ بحَمد الله، عَبر تاريخه الطويل بثقـة شـعوب العالم الإسـلامي بعامّة ومؤسسـاته الأكاديميـة والبحثيـة بخاصـة، وأن فتـاواه وبياناته وعموم إسـهاماته العلمية محلّ الحفاوة والاهتمام والتـداول، ونصّ معاليه علـى «أن المَجمع يختص بالنظر في المسائل الشرعية المستجدّة، المسبوقة بالاسـتطلاعات البحثيـة الأكاديميـة المتعمّقـة من قبـل الباحثيـن المتميّزين، وأنّ تَصـدّي كبار فقهاء الأمّة الإسلامية لتلك المستجدّات يُحْسَبُ في طليعة واجباتهم العلمية، وعلى قدر بَذل الوُسـع في البحث والدراسـة والاجتهاد في إيضـاح حُكمها الفقهي، على قـدر ما نَضطلع بواجبنا الشـرعي تُجاه ديننا بعامّة، وتُجـاه مـا حُمِّلنا من أمانـة العلم بخاصّـة، وكذلك تُجـاه ما يجب من إبراز قدرة فقهنا الإسـلامي على التصدي لكافّة المستجدات أيّاً كانت».

إن رابطة العالم الإسـلامي -وعبْـر مَجمعها الفقهي- تَسـعى دوماً إلـى التعاون المثمر وبناء الشـراكات وعقْـد الاتفاقيات مع المجالـس الإفتائية والمجامع الفقهيـة والهيئات العلمية والمراكـز البحثية حول العالـم، في تنـاول مسـتجدّات المسـائل ودراسـة قضايـا العصـر، انطلاقاً مـن القرآن الكريم والسـنة النبوية الشـريفة والتراث الإسـلامي الزاخر، وصولاً إلـى الحلـول الشـرعية والمقاربـات الفقهيـة التي تواكـب تطلّعات المسـلمين وتلبّـي احتياجاتهم في مسـائل الديـن، وذلك وَفق اجتهـادٍ جماعي يتكامل فيـه الفقهاء مع الخبـراء، ويتحاور فيـه العلماء مع أصحـاب التجـارب، ضمـن إطـار مؤسّسـي معتمَد وموثـوق، يقرّب الرأي، ويضيّق من شُـقّة الاختلاف، ويراعي مصالح الجميع، ويساير التطورات بما يحقق للشـعوب المسـلمة الحفاظ على هُويتهـا والاعتزاز بحضارتهـا، ويَضمـن لها أمنها واسـتقرارها، ويُعزز لها مسار الاعتدال والوسطية والتسامح، ليَبقى هذا الديـن محفوظًا بحِفظ الله تعالى لـه، كما جاء الوعد بذلـك في كتابه الكريم: «إنا نحن نزّلنـا الذكر وإنا له لحافظون».

وثيقة الرباط:

تأكيد على البعد الإيماني في

الحفاظ على البيئة

بقلم: د. محمد تاج العروسي ـ مكة المكرمة

■ تضع مؤتمرات رابطة العالم الإسلامي ضمن أولوياتها معالجة القضايا التي تواجه العالم. المؤتمر الدولي الذي عقدته الرابطة بالمملكة المغربية بالتنسيق مع الرابطة المحمدية للعلماء بعنوان: «الإيمان في عالم متغير»، والذي حضره لفيف من العلماء والممَثلين عن مُختلف الأديان، ناقش قضايا عديدة تؤرق العالم من بينها قضية حماية البيئة. أصدر المؤتمر في ختام أعماله وثيقة باسم «وثيقة الرباط.. الإيمان في عالم متغيّر»، مستمدة من وثيقة مكة المكرمة.

تعلق البند الثالث عشر من وثيقة الرباط بموضوع تغيُّر المناخ والحفاظ على البيئة السليمة، وجاء فيه: «التضامن بين الشعوب هو السبيل الأمثل لمواجهة التحديات الكبرى كالتغير المناخي وهدر الموارد وشحها، وحماية البيئة، والمحافظة على الثروات الطبيعية، وأنه واجب ديني وأخلاقي لا يتحقق إلا بتعاون الجميع في تعزيز الوعي البيئي، وتهذيب السلوكيات المستدامة، واستشعار المسؤولية».

وتتجسد في هذه الوثيقة أهمية البعد الإيماني، ودوره في الحفاظ على البيئة، استنادًا إلى حقائق إيمانية تتغلغل في النفس البشرية وثناياها، ومن تلك الحقائق أن الله تعالى خلق كل الكائنات والجماد بقَدَرٍ، وإرادة ربانية، وكلّ مخلوقٍ أو كائنٍ يؤدي وظيفة للمنظومة الكونية كلها.

وقد لا يعرف الناس قيمة وجود كائن بعينه، ولا النتائج السيئة التي تلاحق العالم عن اختفائه، فعندما يقتلع الإنسان الأشجار ويسرف في تحويل الغابات الكبيرة إلى صحاري ويبيد جزءاً من الغطاء النباتي، ترتفع درجة الحرارة، وتحدث الاضطرابات المناخية التي يعاني منها العالَم اليوم. ولم يكن الإنسان يدري أن الكون

محروس بحكمة الله في خلقه وتبادل الوظائف بين كل مكوناته، وكان الإنذار الرباني واضحاً في القرآن الكريم في تنبيه الإنسان إلى ضرورة الحفاظ على هذا التنوع والتوازن البيئي، بل والعمل على حمايته ضماناً للاستقرار والأمان، يقول الله تعالى: «ومَا خَلَقْنَا السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاّ بِالْحَقِّ وَلَكِنّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ». في هذه الآية تصريح واضح بأن حكمة الخلق تشمل السماء والأرض وما بينهما، فلا يخلو منها شيء من المخلوقات، وكذلك هناك إشارة في الآية إلى أن أكثر الناس لا يعلمون بهذه التغيرات وآثارها فتورطوا في صناعة الفساد البيئي، فالتغير المناخي يؤدي إلى زحزحة خطوط العرض المناخية للأرض الطبيعية، وتغيير حدود الرعي، وزيادة تآكُل التربة، وقسوة التصحّر، وتقلّص الجليد، وتآكل الشواطئ، وغرق المناطق الساحلية، وزيادة عدد الوفيات والأمراض بسبب موجات الحر، ويرجع السبب الرئيس في ذلك إلى الإنسان ذاته لما أفسده من الأرض. قال تعالى مبيّنًا ذلك: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الّذِي عَمِلُوا لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ». قال المفسرون: إن المراد بالبر هو البر المعروف، وبالبحر هو البحر المعروف،

واختلفت تفسيرات بعضهم في معنى ظهور الفساد ومعنى البر والبحر، فهم لم يتصوروا أن يصل الفساد إلى تلوث الهواء بالغازات السامة، بفعل الوقود الحجري والأسلحة الكيماوية التي لم يكن لها وجود في أيامهم، ولا أن يلوث الماء بمخلفات المصانع من الكيماويات، ولا أن تدفن النفايات الذرية في البر والبحر. ولم يخطر على بالهم أن الناس سوف يعيثون في الأرض فسادًا، ويستخدمون الأسلحة الكيماوية والبيولوجية الفتاكة، كما أنه لم يخطر ببالهم أن يلوث الإنسان الهواء الذي يتنفسه والماء الذي يشربه وهو المخزون في جوف الأرض. فقد استخلف الله الإنسان في الأرض؛ ليستمتع بكل ما فيها وَفْق شرع الله، ومِن ثَمّ يجب عليه أن يحفظ أمانة الاستخلاف، ويقوم بعمارة الأرض، ويحرص أشد الحرص على المحافظة على ثروات الأرض المختلفة؛ زراعية، وصناعية، ومائية.

ما يواجهه العالم في هذا العصر في البيئة تحديات جمة، ولعلنا نشهد كل يوم آثار تعرض البيئة للتغيير وتهديد الكائنات الحية، فضلا عما يعانيه الكثير من سكان الكرة الأرضية من سيول خلفت وراءها خسائر مادية فادحة في الأرواح والممتلكات، وأصيبت مناطق أخرى بعواصف أصابت الناس بالكآبة، واجتاحت الأعاصير مناطق ثالثة من العالم مخلفة وراءها العديد من الحرائق في الغابات. وكلها ناتجة عن ظهور أنماط مناخية جديدة بسبب ارتفاع في درجة الحرارة، وزيادة موجات الجفاف، ترتب عليها التهديد بانقراض أنواع من الكائنات الحية، ويترتب على كل ذلك اضطراب أحوال الناس في استقرارهم السياسي والاجتماعي.

وبما أن الرابطة منظمة إسلامية عالمية تمثل ملياراً ونصف مليار مسلم منتشرين في أنحاء الأرض المعمورة، فهي ترى التغيّر المناخي قضية ذات أبعاد وتعقيدات متشعبة تتطلب تعاوناً عالمياً ووطنياً وإقليمياً ومحلياً، لإيجاد طرق مبتكرة للتكيّف المشترك مع المستجدات التي لا سبيل لاجتنابها، وذلك من خلال عقد مؤتمرات ومطالبة العلماء

المختصين المعاصرين بدراسة أسباب هذه الظاهرة والبحث عن الحلول الممكنة لمعالجتها، وبيان أن الاحتباس الحراري وتغير المناخ من أخطر ما يهدد الاستدامة البيئية العالمية اليوم، ويهدد ملايين البشر في جميع أنحاء العالم، حيث زادت وتيرة تقلب الطقس، واستمرار انخفاض الإنتاجية الزراعية، والتراجع المتواصل لمستويات المياه وجودتها.

إن وجود بند عن حماية البيئة في وثيقة تختص بالإيمان له مغزى، ويترتب عليه دعوة الناس إلى الابتعاد عن كل الممارسات الخاطئة التي تضر البيئة وتؤثر على حياة البشر، ومطالبتهم أفراداً ومؤسسات وشعوباً، بتنفيذ مقررات المناخ، انطلاقاً من الالتزام الأممي، وقبله الالتزام الديني والأخلاقي لاستنقاذ الحياة على كوكب الأرض. وهناك قدر كبير من الوفاق بين علماء المناخ على أن مناخ الأرض يتغير بطرق تزيد من المخاطر التي تهدد نسبة كبيرة من سكان العالم. وثمّة اتفاق واسع على أن هذا التغيير نابع من أسلوب الحياة

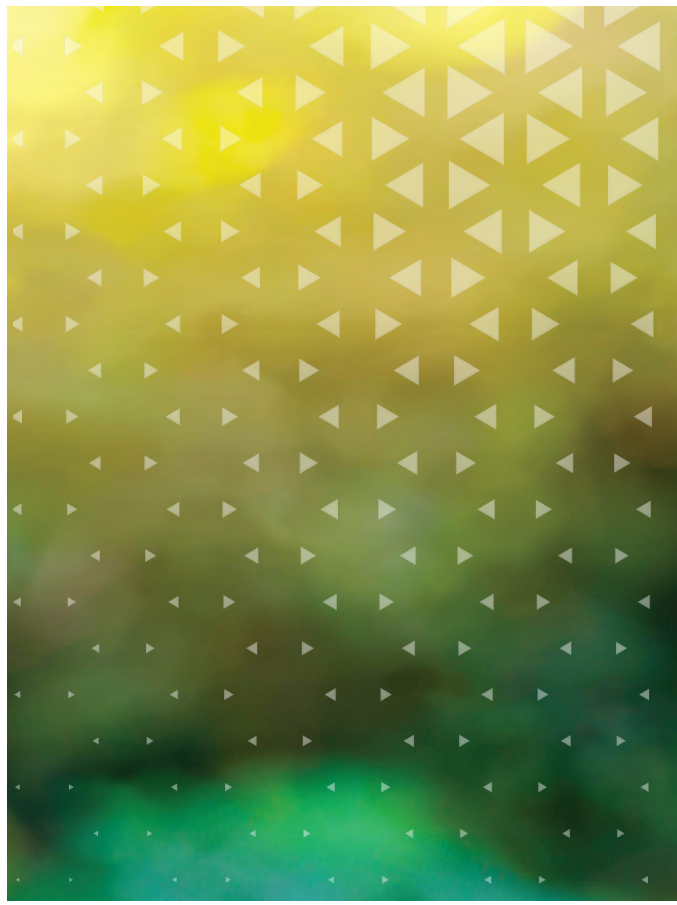

على مدى قرون.

فينبغي أن تكون علاقة الإنسان بالكون علاقة توازن وانسجام لصالح الحياة والأحياء، وليست علاقة حرب وتنافر وعداء وصراع، قال الله تعالى: «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ». وقد فسر ابن كثير هذه الآية بقوله: يقول تعالى منبهاً خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخر لهم ما في السماوات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وجعله إياها لهم سقفاً محفوظاً، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار. وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإزاحة الشبه والعلل، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في الله، أي: في توحيده وإرسال الرسل. ومجادلته في ذلك بغير علم، ولا مستند من حجة صحيحة، ولا كتاب مأثور صحيح، ولهذا قال تعالى: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» أي: مبين مضيء.

كما أرسى الإسلام تشريعات تعين على استصلاح الأراضي وغرس الأشجار وزراعة النباتات، مثل عقود المزارعة، وعقود المساقاة، وحث الناس على التعاون فيما بينهم لزرع الأرض وإصلاحها، وأقر أحكاماً عدة حماية لمصادر المياه والهواء من التلوث، وهناك نصوص كثيرة تحث على الحماية من تلوث الماء، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يبولنّ أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه»، ونهى كذلك عن التبرز في الماء أو الظل فقال: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد وقارعة الطريق، والظل»، وتطبيق تلك التوجيهات النبوية يشمل حماية ماء الأنهار والخزانات من التلوث بكل أشكال التلوث، حيث علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الضرر بالماء يجلب لعنة الله على العبد.

وليس هناك تحذير أشد من وقوع لعنة الله، أعاذنا الله من ذلك.

شارك فيه 450 عالما ومفكراً

المجلس التأسيسي للقيادات الإسلامية

مبادرة لتفعيل التواصل بين أمريكا والمسلمين

د. المحجوب بنسعيد ـ المغرب

تؤكد وثيقة مكة المكرمة التي اعتمدها 1200 عالم ومفكر من مختلف المذاهب والطوائف الدينية في العالم الإسلامي على أن «الصراع والصدام يعمل على تجذير الكراهية، واستنبات العداء بين الأمم والشعوب، ويحول دون تحقيق مطلب العيش المشترك، والاندماج الوطني الإيجابي، وبخاصة في دول التنوع الديني والإثني». وأوضحت الوثيقة أيضًا أن «تحقيق معادلة العيش المشترك الآمن بين جميع المكونات الدينية والإثنية والثقافية على اتساع الدائرة الإنسانية يستدعي تعاون القيادات العالمية والمؤسسات الدولية كافة».

واستلهامًا لتوجهات وثيقة مكة المكرمة، وانطلاقًا من الرسالة الحضارية لرابطة العالم الإسلامي، أنشئ مجلس للقيادات الإسلامية في الأمريكتين، ويعد الأولَ من نوعه في تاريخ القارتين، ويشمل عموم المذاهب والطوائف الإسلامية التي أقرَّت وثيقة مكة المكرمة. وقد ترأس الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، اجتماعَ هذا المجلس يوم 24 يناير 2024 في المركز الإسلامي بواشنطن. وتدارس الاجتماع مشروع برنامج تدريب الأئمة على «وثيقة مكة المكرمة»، ونشر الوثيقة والتعريف بها بين أبناء الجالية المسلمة المقيمة في دول أمريكا الشمالية

والجنوبيـة، كما ناقـش الاجتماع عـددًا من الخطط المسـتقبلية للمجلـس، وآليـات توثيـق وتعزيـز التواصـل بيـن المؤسسـات الإسـلامية وتنسـيق جهودها المشتركة.

لم يأتِ تأسيس مجلس للقيادات الإسلامية في منطقة أمريكا الشمالية والجنوبية بين عشية وضحاها، بل هو ثمرة اشتغال متبصر قام به الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في هذه المنطقة على مدى سنوات، وذلـك في إطـار تنفيذ ميثاق رابطة العالم الإسـلامي الهادف إلى التعريف بالإسـلام وبيان حقائقه وقيمه السـمحة، والعناية بالتواصل الحضاري ونشر ثقافة الحـوار، والاهتمام بالأقليـات المسـلمة وقضاياها، والتواصـل معها لعلاج المشـكلات التـي تواجهها في حدود دسـاتير وأنظمـة الدول التي يوجـدون فيها.

لقـد نفذت الرابطـة في الولايات المتحـدة الأمريكية عدداً مهماً من الأنشـطة الدبلوماسـية والأكاديمية، وتواصـل عبرهـا مـع ممثلـي الجاليات المسـلمة من رؤسـاء الجمعيات والمراكز الثقافية والمفتين والأئمة، ودراسة عدد من القضايا التي تهم الجاليات المسـلمة في أمريكا في المجالات الدينيـة والثقافية والمدنية والقانونية والسياسية.

ومـن بيـن أهم تلك الأنشـطة تنظيـم مؤتمر دولي بعنـوان: «التواصل الحضاري بين الولايات المتحدة الأمريكيـة والعالـم الإسـلامي» في شـهر سـبتمبر 2017 في مدينـة نيويـورك، بمشـاركة منظمة الأمم المتحـدة، وحضـور 450 عالمًـا ومفكـرًا يمثلـون 56 دولـة وكبـرى المؤسسـات الفكريـة والثقافية الإسـلامية والأمريكيـة. وقـد طلب المشـاركون في المؤتمـر مـن رابطة العالـم الإسـلامي التعاون مع الجمعيـات والمنظمـات والجامعـات في الولايـات المتحـدة الأمريكية، لتنفيذ برامج مشـتركة هدفها تحقيـق التواصـل الإيجابي بين الحضارة الإسـلامية والحضـارة الأمريكيـة، وتطويـر الحـوار البينـي بما يراعـي المصالـح المشـتركة، ويعالـج مشـكلات المجتمعات المعاصرة.

جـاءت توصيات المؤتمر بالتأكيد على أهمية توثيق الصـلات والتعـاون بيـن المنظمـات الإسـلامية في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة والهيئات الرسميـة والشعبيـة في العالم الإسلامي في كافة المجالات إفادة واسـتفادة، مع بذل الجهود الدولية الفاعلة لتحقيق كرامة الإنسان وحفظ حقوقه، وإقامة العدل الناجز، وتحقيق التعايش الآمن بين المجتمعات البشـرية.

ودعـت التوصيـات إلـى إنشـاء منتـدى للتواصـل الحضـاري الإسـلامي الأمريكـي لتعزيـز التواصـل الفكري والثقافي والعلمي بين الشـعوب الإسـلامية والشعب الأمريكي، وتعميق الروابط الحضارية بين الجانبين، إلى جانب وضع خطة اسـتراتيجية شاملة ومتكاملـة للتنسـيق بيـن المنظمـات والمراكـز والجامعات والمؤسسـات الإعلاميـة لمواجهة الفكر المتطـرف وحمايـة المجتمعات من آثـاره ونتائجه وارتداداته على الطرف الآخر.

ويسـتفاد مـن اهتمـام رابطـة العالـم الإسـلامي بأوضاع الجاليات المسـلمة خارج العالم الإسـلامي أنهـا تولي عنايـة فائقة للدفاع عـن الحقوق الثقافية والدينية والمدنية للمواطنين من أصول مسلمة في المجتمعات غير الإسـلامية وبحث السـبل الناجعة للحـد من انتهاك حقوقهم. كمـا تعمل على تأصيل التعددية الثقافية والتنوع الثقافي والمذهبي وتعزيز برامـج التبـادل الثقافي بيـن الأقليات المسـلمة في العالـم، وتعزيـز قيم الاعتـدال والحوار والتسـامح والتآخي، ونبذ التعصب والكراهية المذهبية، وإبراز الخصوصيات الثقافية والفكرية للأقليات المسـلمة في العالـم. وتحـرص الرابطـة كذلـك علـى تفعيـل الآليـات الأكاديمية والمهنيـة والقانونية والحقوقية للحـد مـن الصور النمطيـة عن الأقليات المسـلمة في الإعلام الدولي، وتأهيل الأسـر والنسـاء والشباب والأطفـال من الأقليات المسـلمة في مجـال التربية علـى المواطنة والاعتزاز بهويتهـم الثقافية والدينية والمسـاهمة في تنميـة المجتمعـات المحليـة التي يعيشون فيها.

وتأسيسًا على ذلك، فإن الجهود التي تقوم بها رابطة العالـم الإسـلامي في الدفـاع عـن الحقـوق الثقافية والدينية والمدنية للأقليات والجاليات المسـلمة في أمريكا الشمالية والجنوبية وغيرها من بلدان العالم تجعلهـا اليوم من أكثر المنظمات مصداقية وقدرة على توعية الأقليات المسلمة في العالم على الحفاظ على هويتهـا الثقافية والدينيـة، وحثها على الالتزام باحترام القوانين المنصوص عليها في دساتير الدول التـي تعيـش فيها هـذه الأقليـات، إمـا كمهاجرين شـرعيين أو مواطنيـن كاملـي المواطنـة. وبهـذه المبادرات الحضارية تسـهم رابطة العالم الإسلامي في التصـدي للمنظمـات والجمعيـات التـي تتاجـر بقضايا الأقليات والجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية لأغراض سياسية.

وثيقة مكة
بعيون أوروبية

بقلم: الشيخ هاني أحمد مستو ـ بلجيكا

خلق الله تعالى الإنسان على الأرض ليؤدي الأمانة التي حملها والخلافة التي جُعلت له، والعبادة التي خُلق من أجلها وعمارة الأرض بحضارة الإيمان والتوحيد كما أمره الله سبحانه.

قال تعالى: «يا أيها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» [الحجرات: 13].

فالخطاب موجه للناس جميعاً ليدلل على أن المدخل لصياغة العلاقة بين هذا التنوع العرقي والقومي والجنسي هو التعارف الذي يفتح باب التلاقي والتعايش، فالحركة الكونية حركة انسجام وتناسق، وصورة البشر يجب أن تكون كذلك لتستقر الحياة.

وهذا ما أكدت عليه وثيقة مكة المكرمة في المؤتمر المنعقد تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي بجوار الكعبة المشرفة برعاية من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز أطال الله في عمره.

فما هي المواثيق التي أكد عليها الإسلام تاريخيا وحاضرا ومستقبلا وكيف يمكننا ربطها مع كل التحولات التي تمر بالعالم بأسره وخصوصا في المجتمعات الغربية التي أصبحت اليوم خليطًا من الأعراق والثقافات والديانات؟

أولاً: الميثاق الإنساني

فالنفس الإنسانية لها حرمة ومكان في الإسلام. يروى أن جنازة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام لها واقفاً، فقيل له: يا رسول الله إنها جنازة يهودي! فقال: أليست نفساً؟

ثانياً: الميثاق التشريعي

أهل الكتاب لهم احترام خاص في الإسلام ولا سيما إذا كانوا معاهدين أو أهل ذمة.

وهكذا وعلى هذا المبدأ سار الإسلام والمسلمون تاريخيًّا مع أهل الأديان الأخرى وتعايشوا مع أهل البلاد التي فتحوها.

وخير مثال على ذلك؛ العهد الذي كتبه أبو بكر رضي الله عنه لأهل نجران المسيحيين، حيث كتب لهم بأنه: «أجارهم بجوار الله وذمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأراضيهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يخسرون ولا يعسرون، ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته، وفاءً لهم بكل ما كتب لهم محمد صلى الله عليه وسلم».

فالعلاقة والمعاملة والتعايش كان عبر ميزان العدل والبر وتكافؤ الفرص للجميع، وما أجمل وصية عمر بن الخطاب حين قال في آخر أيامه: «أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً أن يوفي بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم» [يحيى بن آدم، الخراج، ص7].

وقد دل تاريخ المسلمين أن الإسلام يسمح: أن يتجاور المسلم مع غيره من أهل الأديان الأخرى، وهذا ابن عباس الصحابي الشهير يذبح شاة فيقول لغلامه: «لا تنس جارنا اليهودي ثم كررها حتى قال له الغلام: كم تقول هذا! فقال: إن النبي أوصانا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه» [الكاساني، البدائع، جـ5، ص281].

كما أن الإسلام سمح لغير المسلم أن يقاضي أرفع إنسان مسلم وينتصف منه، إذ إن الأمر لاعلاقة له بتغليب دين على دين بل هو من باب تطبيق ما جاء في الإسلام من أحكام تجاه الطرف الآخر حفظها من حفظها ونسيها من نسيها. وقصة شكوى اليهودي على علي رضي الله عنه في مجلس عمر بن الخطاب معروفة من الجميع، وكذلك قصة القبطي وابن عمرو بن العاص، والتي كانت مقولة عمر الشهيرة فيها: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟».

ورغم الصورة القاتمة عن حقيقة التعايش بين المختلفين عرقياً أو دينياً وما شابه، إلا أن الحركة التاريخية برمتها عانت من قضية التعايش التي

كانـت تنجح حيناً وتفشـل أحياناً في صـور مختلفة. فمنـذ الإغريق والرومـان كان التمييز على أسـاس العـرق واللـون والطبقة، واسـتمر ذلـك إلى عصور متقدمـة شـهدت صراعـات طبقية وقوميـة هائلة أفرزت حروباً عالمية وانقلابات ثورية.

هذه المعاني والنصوص التي كانت جزءاً من عقلية المسـلم، تجسـدت في واقع الدولة الإسلامية حيث برز غير المسلمين في مواقع هامة في هيكلية الدولة، وبذلـك تعـدّت درجـة التعايـش إلى درجـة التوحّد والحيـاة الطبيعية، حتى إنه ولكثرة إسـناد الوظائف العامة إلى غير المسـلمين في الدولة الإسلامية قال آدم متـز أحـد مؤرخي الغـرب: إن من الأمـور التي نُعجـب بهـا كثـرة عـدد العمـال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية.

وكان مما يعمق مفهوم الحياة المشتركة والتعايش الفعلـي، الإحسـاس بالحريـة والحمايـة وإبعاد كل أشـكال الخـوف والصـراع والتحقيـر. ففضـلاً عـن نظـرة الإسـلام العامة لتكريم بني البشـر، إلا أنه تم تخصيص غير المسـلمين في الدولة الإسلامية، كما في الحديث الذي رواه أبو داود: «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه».

وفي حديـث آخـر: «مـن آذى ذمياً فأنـا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة».

وما جاءت به وثيقة مكة المكرمة من بنود مأخوذة مـن أصول هذا الدين العظيم لتكون امتدادًا حقيقياً لثلاث معاهدات هامة في تاريخ الإسلام والمسلمين، وخصوصـا تلك البلاد التي وفد إليها المسـلمون ثم أصبحـوا جزءا منها وهي معاهـدة المدينة المنورة التي كتبها رسـول الله صلى الله عليه وسـلم والتي تحـض علـى أن المسـلمين مـن قريـش ويثـرب ومـن تبعهم فلحـق بهم وجاهد معهـم، أمة واحدة مـن دون الناس وأن هؤلاء المسـلمين جميعاً على اختـلاف قبائلهـم يتعاقلون بينهم، ويفـدون عانيهم بالمعروف والقسـط بين المؤمنين، وأنَّ المؤمنين لا يتركون مفرحاً (المثقل بالديون) بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر وذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس.

والعهـدة العمريـة التـي تنـص على هذا مـا أعطى عبـد الله عمر أمير المؤمنين أهـل إيليا من الأمان. أعطاهـم أمانـاً لأنفسـهم وأموالهـم ولكنائسـهم وصلبانهـم وسـقيمها وبريئهـا وسـائر ملتهـا، أنه لا تسـكن كنائسـهم ولا تهـدم ولا ينتقـص منهـا ولا مـن حيزهـا ولا مـن صليبهم ولا من شـيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود.

لقد أصبـح التعايش والاندمـاج الاجتماعي الإيجابي في المجتمعـات التي وفد إليها المسـلمون ضرورة اجتماعية ملحة.

فقـد نـرى في بعـض الـدول الغربية مظاهـر تمييز أحيانًا ضد المسلمين في الحياة اليومية، إذ يتعرض العديـد منهم للحرمان؛ بسـبب أصلهم العرقي، أو ديانتهـم، إذ يُنظـر إلى العرب والمسـلمين في كثير مـن الأحيان من قبـل الأحزاب اليمينيـة على أنهم لا يندمجـون في أوروبا، ولا يؤمنـون بالقيم الغربية، ولا يتكيفون بسهولة مع ثقافتها، بل هم رافضون لها في الغالب، ويتم التمييز ضدهم بسبب هذا الاعتقاد الخاطـئ. وتُعد هذه الممارسـات غيـر عادلة، وغير أخلاقيـة، وتتعارض مع القوانيـن المنصوص عليها في العديد من دسـاتير الـدول الأوروبية التي تحظر

التمييز على أساس العرق، أو الدين، أو اللون.

وقـد تعود جـذور التمييـز العنصري عنـد فئة من المجتمعـات الغربيـة ضد المسـلمين إلى الصورة النمطية الخاطئة التي يتم ترويجها عن المسلمين، والتي تصورهم على أنهم غير مؤهلين، وغير قابلين للتكيف مـع الثقافة الأوروبية، أو لا يؤمنون بقيمها، مما يتسـبب في انعـدام الثقة بين أفـراد المجتمع، ويؤدي إلى تعزيز الانقسـامات، والمشاعر السلبية هناك. ومن ثمَّ، يُهدد هذا التمييز التعايش السلمي، والتعدديـة الثقافيـة في المجتمعـات الأوروبيـة. ولذلـك، تتحمل الحكومات، والمؤسسـات المعنية مسـؤولية تطبيـق القوانيـن واللوائـح التـي تحمي حقـوق الأقليـات العرقية، والدينيـة، وتضمن تكافؤ الفـرص. ويتطلب تحقيق ذلك عمـلًا جادًا يتمثل في التغيير الجذري، والحقيقي للنظرة إلى المسلمين، ومسـاعدتهم في تطوير مهاراتهم، الأمر الذي يسهم في تعزيز التعددية الثقافية في المجتمعات الأوروبية، واندماج جميع أفرادها مما يجعل أبناء الجيل الأول والثاني من المهاجرين يشعرون بالانتماء لموطنهم الذي ولدوا فيه، ولا يكونون فريسـة سهلة للتيارات المتطرفـة، أو يصبحون عرضـة للتهميش، وتوابعه السـيئة. ويمكـن تحقيـق ذلـك مـن خلال تشـجيع التنـوع، وتعزيز الوعـي بأهميته، وتبني سياسـات وإجراءات تحمي حقوق الأقليات العرقية، والدينية، وتسـهم في تحقيق العدالة الاجتماعية، والاقتصادية التي تعد هدفًا أساسـيًّا في بناء مجتمعات متساوية سوية، وأكثر تسامحًا، وانفتاحًا على الآخر.

ولعـل ما تقوم به الحكومات الأوروبية في هذا الإطار من فتح الباب لحرية الأديان والتنوع الثقافي لا بد لنا من التنويه إليه وتبيانه. وينبغي على المسلمين في أوروبا أنفسـهم أن يبتعدوا كلياً عن عقلية المسافر وعابر السبيل. عليهم التصرف كمواطنين أوروبيين لهـم كل حقـوق وواجبـات المواطنيـن الأوروبيين. وفضـلا عـن ذلـك عليهم لعـب دور أكثـر فعالية في منظمات المجتمع المدني والدخول في مؤسسـات الدول الأوروبية وخاصة الأحزاب السياسية.

لكـن النقطـة الأهـم تكمـن في الابتعـاد عـن عقلية الضحيـة والاستسـلام لمنطقهـا السـلبي، ومحاولة الإسـهام في خدمة مجتمعاتهـم والعمل يدا بيد مع كل قـوى المجتمع من أجـل تحديد قواعد ومعايير تحترم الحق في الاختلاف في إطار منظومة دسـتورية

وثيقة مكة المكرمة

The Makkah Charter

تحمي الحقوق الأساسية لكل المواطنين.

إن العالـم اليـوم بمـا يمتلكـه مـن وسـائل قتالية متطورة أصبح يهدد البشـرية بالإبادة وهذا ما نراه مـن حـروب الإبـادة التي تنتشـر على رقعـة الكرة الأرضية بأسـرها، والتي تقوم على أسـاس التطهير العرقـي والمجتمعـي المقيت، والتي تضـع العالم كلـه على المحك، فلا بد لهذا العالم أن يعي خطورة ذلـك وأن تكون هنالـك وقفات ودعـوات وصيحات للعقلاء، مسـلمين وغير مسـلمين، للوقوف سـدًا منيعًا ضد مظاهر الانحدار الخلقي والعقائدي.

إن الاختـلاف العرقي والقومـي والديني لا بد حاصل في شـتى بقـاع الأرض، فالتعايـش إذاً أصبح ضرورة واقعيـة لحفـظ كرامة الإنسـان وقيمتـه، ولا بد من إحياء هذا التوجه لأن فيه مصلحة عامة تحفظ الجنس والنسـل والممتلكات. ولقد وعت العديد من الأمم والشـعوب والـدول هـذه المصلحـة، فاتجهت إلى الكيانات الكبيرة والمجتمعات المفتوحة التي تضم في داخلها أعراقا وأجناسـا تشـهد تنوعـا في الديانات والمعتقـدات، وذلـك في سـبيل التوحـد والتكامـل لتحقيق المزيد من الفائدة والخيرات.

وكل هذه المعاني والقيم الإيجابية تعبر عنها وثيقة مكـة المكرمة خير تعبير، وتمثلها خير تمثيل، مما يدعونا للاسـتئناس بها وتداولها، بـل عقد الحلقات الدراسـية والنـدوات والـدورات التدريبيـة حـول مضامينها وأهدافها.

القيمة التربوية والتثقيفية لكتاب

عيون الأخبار

لابن قتيبة

بقلم: الزبير مهداد ـ المغرب

الثقافة تقوم على التنوع، وهي: حديقة غناء، يستمتع السائح فيها بتنوع ألوان أزهارها وأشجارها

■ تعد كتب الأخبار من أهم المصنفات الثقافية التي تعنى بإيراد أخبار الشعراء والأدباء، والخلفاء؛ توضيحاً لأشعار الشعراء، وفنون الأدباء، ومواقف الخلفاء ومجالسهم، ونواديهم، وملحهم، كما تتعرض إلى الجوانب اللغوية والنحوية والبلاغية والنقدية، شرحاً وتبياناً للأشعار، والقصص، والنوادر والطرف.

وهي كتب غير متخصصة، تعالج فنوناً شتى في مجالات مختلفة؛ ليجد القارئ في اجتماعها صورة كلية متكاملة من المعرفة، تدور حول الموضوع المقصود، تحمل وجهات نظر متباينة، لتقدم للقارئ الرؤى المختلفة، ليرى فيها رأيه دون حَجْرٍ عليه، ولا على القائل المنقول عنه.

ظهر هذا الفن الأدبي في العصر العباسي، أملته طبيعة هذا العصر الذي كان جامعاً لعلوم مختلفة وثقافات متعددة، الأمر الذي كان يحفز المثقفين على الانخراط في محافل النقاش الأدبي والفكري، وأن يمتحوا فكرهم من كل الثقافات والأجناس والأديان التي يعاصرونها.

توفر هذه المؤلفات مادة مهمة للدراسة الأدبية واللغوية، كما تعد مصادر تربوية تعليمية للقيم والأخلاق والمعرفة، تسهم في تشريب واستيعاب الثقافة العربية الأصيلة وقيمها للناشئة، بل وتتخذ دليلاً في الحياة تساعد على تلمس السبيل المستقيم، وتخطي الصعاب وبناء الشخصية.

صنف في هذا الفن كثير من الكتاب الكبار، كالجاحظ، والأصبهاني، وابن قتيبة، والأبشيهي، وياقوت الحموي، وابن عبد ربه، وكثيرون غيرهم، يضيق المجال بذكرهم. ويعد كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، أحد أهم هذه المصنفات.

ابن قُتَيْبَة الدِّيْنَوَرِيّ

وابن قتيبة الدينوري أحد أعلام القرن الثالث الهجري، وأبرز كتاب الدولة العباسية، ولد في الكوفة عام ٢١٣هـ؛ وعاش في بغداد، حيث تلقى تعليمه، ثم انتقل إلى دينور ببلاد فارس

قاضياً، ثم عاد إلى بغداد، وفيها عاش ما تبقى من عمره، حتى وفاته في ١٥ رجب ٢٧٦هـ؛ تاركاً العديد من المؤلفات الثمينة، اشتهر منها «أدب الكاتب»، و «عيون الأخبار».

عيون الأخبار

كتاب «عيون الأخبار»، حققه منذر محمد سعيد أبو شعر، وصدر عن المكتب الإسلامي ببيروت، سنة ٢٠٠٨. المتصفح لهذا العمل، يجده كسائر كتب هذا الصنف من التأليف، يتميز بموسوعيته ومضامينه المتنوعة، لأنها تسعى إلى إكساب القارئ ثقافة موسوعية، وعلماً غزيراً. ولقد تجاوزت سعة اطلاع المؤلف في الكتاب المصادر العربية إلى غير العربية، كالكتب الهندية والفارسية وغيرها.

كان المؤلف صاحب رسالة في تأليفه هذا الكتاب، فلقد كان حريصًا على أن يضع هذا العلم وذاك الأدب بين يدي المتعلم المتأدب، وسائر فئات المجتمع على اختلاف مشاربها وميولها، «وهذه عيون الأخبار، نظمتها لمغفل التأدب تبصرة، ولأهل العلم تذكرة» (ص٣). «جمعت لك منها ما جمعت في هذا الكتاب، لتأخذ نفسك بأحسنها، وتقومها بثقافتها، وتخلصها من

الآداب تشيع القيم النبيلة في الجسد الاجتماعي، وتبني نظام القيم في النشء

مساوئ الأخلاق، كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها، وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة، وسيرة قويمة، وأدب كريم، وخلق عظيم» (ص٤).

والكتاب يجمع بين الجد والهزل «النادرة الطريفة والفطنة اللطيفة، وكلمة معجبة وأخرى مضحكة» (ص٥)، والغرض منه الترويح على المتلقي، وإبعاد شبح الملل والسأم عنه، حتى يتمكن من المتابعة المستمرة؛ والاستفادة القصوى من المضامين النفيسة.

القيم التربوية في الكتاب

حدد ابن قتيبة الباعث الحقيقي على التأليف في التأديب وتهذيب خصال أفراد المجتمع، والدلالة على معالي الأمور والإرشاد لكريم الأخلاق، والزجر عن الدناءة، والنهي عن القباحة،

والبعـث علـى الصـواب، وهـي أخلاق سـامية مطلوبة لعمار الأرض على وجه الصواب.

يرى ابـن قتيبـة أن وظيفة المصنفـات الأدبية لا تقل قيمة عن غيرها من المصنفات في الفقه أو علوم القرآن أو السـنة، فهي تهدي إلى جانب غيرهـا من الكتـب الدينية إلى مـكارم الأخلاق، وبذلـك تؤدي نفـس الوظيفة التـي تؤديها تلك الكتب.

نحـن إذن أمـام مشـروع إصلاحـي للتربيـة بالثقافة والحكمة، استخدم فيه المؤلف العديد من المصادر المهمة لاسـتنباط القيم والأخلاق، منها القرآن، والكتب السماوية، ومتون الحديث النبوي الشريف، وأدبيات تربوية أخرى، وجمع هـذه المادة القيمة والضخمـة في فصول، وفقًا لتسلسـل، وتبويب معـي. ووضع لهـا مقدمة ثمينـة، شـرح فيهـا كل ذلك وغيره بإسـهاب، ما جعلهـا مقدمة متميزة، بسـط فيها الغايات التربويـة التـي اعتنـى بهـا، يمكن أن نسـتنبط منها بعضها، كترسـيخ قيمة قبول الرأي الآخر، وإصلاح الأخلاق، وإكسـاب المهارات التواصلية، والحكمة، وبث النزعة الإنسانية.

قبول الرأي الآخر

كان ابـن قتيبـة يؤمن بالحـق في التفكير الحر. ومـا يلفت نظر القارئ في مقدمة الكتاب، تأكيد المؤلف على أهمية تقدير واحترام الرأي الآخر، منبئـاً القـارئ بأن هناك من سـيترصد للكتاب ويبخـس قيمته، ويحاصره باسـتعمال سـلاح الدين، بدعـوى أن لا قيمة ولا أهمية لأي تأليف ما «لم يكن في القرآن والسـنة، وشـرائع الدين، وعلم الحـلال والحرام». يـرد المؤلف على هذا الرأي بأن الخير ليس حكراً على الكتاب الديني، بل يشمل كل المصنفات التي تدل على معالي الأمور، وترشـد إلـى كريم الأخـلاق، وتزجر عن الدنـاءة، وتبعث على صـواب التدبير، وعمارة الأرض. «وليـس الطريـق إلى الله واحداً، ولا كلّ الخيـر مجتمعاً في تهجد الليل، وسـرد الصيام، وعلـم الحلال والحـرام، بل الطـرق إليه كثيرة، وأبـواب الخيـر واسـعة» (ص٣). وشـبه كتابه بالمائدة، تختلف فيها مذاقات الطعوم، لاختلاف أذواق وشهوات الآكلين، وكلها حلال.

فحريـة التفكيـر، والتنوع الثقـافي، والاختلاف في الأذواق، هي الشـرط الرئيـس لكل تقدم فكري ونهضـة ثقافية. وسـيطرة ثقافة اللـون الواحد، وإلغاء الآخر وتهميشـه، تهدد السلم الاجتماعي وتنذر بانتشـار العنف الطائفي أو المذهبي بين أبناء الأمة الواحدة، ما ينذر بانهيارها.

فالثقافـة تقوم على التنوع، وهـي حديقة غناء، تعلـم السـائح فيهـا الاسـتمتاع بتنـوع ألـوان أزهارهـا وأشـجارها وطيورهـا. وبذلـك يمكنها أن تلعـب دوراً مهماً في قبـول الآخر، من خلال عـرض المنتـج الثقـافي الإنسـاني الـذي يهذب السـلوك، ويعمـق المشـترك الإنسـاني، الذي يحقق السمو الروحي.

إصلاح الأخلاق

يؤكد ابن قتيبة أن الآداب لها دور هام في إشاعة القيم النبيلة في الجسـد الاجتماعي، وتسـهم في بناء وتشـكيل نظـام القيم في النـشء، وصيانة القيم الاجتماعية والإنسانية الخاصة بالمجتمع، لذلك تعتمدها التربية وسـيلة في إصلاح أخلاق النـشء وتوجيهـه. ولأن الأخـلاق الاجتماعيـة ليسـت ثابتـة، وكثيـر منهـا تتغيـر وتتبـدل، وتتأثـر بالمتغيـرات الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسـية، فصونـاً لهـا مـن التـردي يجـب أن تحتكـم إلـى القواعـد الدينيـة. والدين يأمر المؤمنين بتزكية أنفسـهم وتحسـين أخلاقهم، وتنميـة الفضائـل النفسـية، وهـو مـا بسـطه المؤلف في المقدمة، مبرزاً الغاية من جمع هذه المـادة الأدبيـة والثقافية، حتى يأخـذ المتأدب نفسه بأحسـنها، فيحسن أخلاقه، ويخلصها من المسـاوئ. فـالآداب مـرآة للأنسـاق المعرفية والقانونيـة والتربويـة والاجتماعيـة، وتشـكل ثقافـة الأمة التي تتناقلها الأجيال، وتحدد أنماط

حياتنا الاجتماعية، وتمنح شعوبنا خصوصياتها.

إكساب مهارات تواصلية

أشار ابن قتيبة إلى قيمة الترسلات الأدبية التي حواها الكتاب، فهي ذات وظائف متعددة، تربوية وتواصلية. يقول المؤلف عن ترسلاته المختارة: «وتصل بها كلامك إذا حاورت، وبلاغتك إذا كتبت، وتستنتج بها حاجتك إذا سألت، وتتلطف في القول إن شفعت، وتخرج من اللوم بأحسن العذر إذا اعتذرت، فإن الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال» (ص٤). فحسن التواصل يؤدي إلى التفاهم، ويرسخ المحبة، ويطفئ جذوة النزاعات والكراهية.

والكتاب أضمومة من الترسلات الأدبية التي تؤدي وظيفة تواصلية وجمالية بارزة، إلى جانب الوظيفة التربوية التي يمكن استنباطها منها. فالترسلات التي يتلقاها القارئ يفك شفرتها، وكلما كانت جميلة كان لها وقع حسن في النفس، وكان تأثيرها أقوى؛ لأن اللغة أفضل وأقوى وسائل التواصل الاجتماعي، وبها يربط الناس علاقاتهم مع مكونات مجتمعهم، ويتناقلون المعرفة والخبر والمشاعر. وكلما كان اللسان أبين، كانت الرسالة أبلغ، وحققت مرادها.

إتاحة الحكمة للنشء

توخى المؤلف بكتابه إكساب الناشئة مهارة استخدام المعرفة، واختيار أفضلها، والتفاعل الإيجابي مع الموروث الثقافي، والخبرات و«نتاج أفكار الحكماء» لاستخدامها في تلبية الحاجات المعرفية والاجتماعية.

فالحكمة هي الحكم الجيد، والمعرفة العميقة للحقائق، وللذات، وللآخرين، هي أداة الفرد ووسيلته للموازنة بين الأمور، والحكيم هو الذي يستخدم المعرفة في الموازنة العقلية بين نتائج الأمور، وبين المصلحة الشخصية ومصالح الآخرين، بالتفكير في جميع الخيارات

الحكمة أعلى مراحل الارتقاء الإنساني، وهي محصلة جهود متكاملة لتنمية النواحي العقلية والعاطفية والأخلاقية

المتاحة.

ويعد الانفتاح العقلي أحد الخصائص الشخصية المهمة التي تسهم في تطور الحكمة. والقدرات المتداخلة بين الذكاء والشخصية التي تتعلق بالحكمة تتضمن الذكاء الاجتماعي والمنطق الأخلاقي، والإبداع.

إن الحكمة هي أعلى مراحل الارتقاء الإنساني، وهي محصلة جهود متكاملة لتنمية النواحي العقلية والعاطفية والأخلاقية، لإنضاج القدرات العقلية والوجدانية والأخلاقية، وتسليحها بالمعارف والقيم والمعايير للتمييز بين الخير والشر، والحسن والقبيح، والاستقامة والانحراف. يحدث تطور الحكمة على مدار الحياة، وأكثر الناس حاجة إليها النشء النامي.

إن تراثنا هو عنوان أصالتنا وهويتنا، وسلاح التصدي لكل أشكال الغزو الثقافي، والاختراق القيمي. وبما أنه موروث خام، وركام تاريخي، فإنه يحتوي ممارسات مختلفة، يقتضي الصواب التمييز بين ما هو إيجابي فيه، والكشف عنه والتعريف به، ودراسته وتثمينه، وتحديد ما هو سلبي، وفحصه وإحصائه ودراسته أيضاً، فالتركيز على الإيجابي هو عناية بمقومات النجاح والتميز، التي تؤهلنا لحماية هويتنا وترسيخها وإدامتها، والإسهام في إثراء الركام الحضاري الإنساني، فالتراث بأجمعه هو تراث إنساني، يجب النظر إليه بتقدير، والاستفادة منه قدر الإمكان.

كتب
السيرة النبوية
المترجمة من الأردية للعربية

د. محمد منصور الهدوي ـ الهند

حظيت السيرة النبوية والرسالة المحمدية بالخلود والبقاء إلى يوم الحساب، فقد تضاعفت الكتابة حولها أضعافاً مضاعفة، وجرت أقلام المؤلفين والباحثين من العرب والعجم من المسلمين وغيرهم بألوان من البحوث، وأصناف من الكتب بلغات شتى حولها. وشبه القارة الهندية كان لها قصب السبق في ميدان العلم والمعرفة، ونشر الدعوة الإسلامية، وخدمة الحديث النبوي، والسيرة النبوية بلغات عديدة، خصوصاً اللغة الأردية، وهي لغة أكثر سكان شبه القارة الهندية من المسلمين.

ازدهرت ثقافة التأليف في السيرة النبوية باللغة الأردية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وبلغ التأليف بهذه اللغة عصره الذهبي في القرن العشرين الميلادي، وكثرت الكتب والمؤلفات بها بحيث يمكننا القول بتفوق علماء شبه القارة الهندية على غيرهم من علماء الأقاليم الأخرى في تلك الفترة في تأليفهم في السيرة النبوية، وقد شارك في الكتابة في السيرة النبوية غير المسلمين أيضاً؛ من الهندوس، والنصارى، والسيخ.

ونظرًا لجودة الكتب التي ألفت في السيرة النبوية باللغة الأردية تم ترجمة بعضها إلى اللغة العربية، كما اعتمدت اللغاتُ الأخرى على الكتب المؤلفة بالأردية في تأليف كتبها، واهتمت الأوساط العلمية بترجمتها إلى لغاتها؛ كاللغة البنغالية، والإنجليزية، والفرنسية، ومن هذه الكتب التي ترجمت من الأردية إلى العربية:

ـ كتاب «رحمة للعالمين» للعلامة القاضي محمد سليمان سلمان المنصورفوري، مِنْ بنجاب الهند، المتوفى عام ١٩٣٠م، وهذا الكتاب عَدّه كثيرٌ من العلماء والباحثين بأنه أحسن وأدق ما كتب في السيرة النبوية باللغة الأردية مطلقاً، وقيّده بعضهم باللغة الأردية خاصة، والكتاب مترجم إلى اللغة العربية.

وأكبر ميزة لهذا الكتاب أنه مع احتوائه على وقائع السيرة يتضمن الرد على مطاعن الآخرين، والمقارنة بين القرآن والصحف السماوية، وخاصة الرد على أباطيل وأكاذيب المناوئين. وبما أن المؤلف كان مطلعاً تمام الاطلاع على الكتب السماوية، وعلى أساليب المستشرقين خاصة غير المنصفين منهم فقد ردّ على مطاعنهم رداً قاطعاً، وشرح تعاليم

الإسلام وقارن بينها وبين تعاليم الأديان الأخرى مقارنة عادلة دقيقة، وانتهى إلى إبراز سمو الإسلام، وكماله، وخلوده.

وحظي الكتاب بمكانة رفيعة، وتقرر ضمه إلى المناهج الدراسية لكبرى المدارس والجامعات الإسلامية في الهند وباكستان؛ كالجامعة الإسلامية بدكن، وندوة العلماء في لكهنو، ودار العلوم بديوبند، وحماية الإسلام بلاهور، وجملة من المدارس الثانوية الإسلامية التي قررت تدريسه إلزاميا.

وظهرت الطبعة الأولى للجزء الأول قبل الحرب العالمية الأولى بعامين، وله بذلك قدم السبق على الكتب الأخرى التي عدت أنها من أحسن وأدق ما ألف في السيرة بالأردية. وقد أثنى عليه كثير من العلماء، واعتمدوا عليه في تأليف كتبهم.

وأولى ترجمات الكتاب إلى اللغة العربية كانت على يد الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري القطري ــ رحمه الله ـ الذي زار الهند، ورأى كتاب «رحمة للعالمين» للقاضي محمد سليمان وأعجب به، وطلب من مولانا مختار أحمد الندوي المدير العام للدار السلفية في مومباي ترجمته إلى العربية، وكلف بهذا العمل العظيم كُلا من الدكتور مقتدى حسن الأزهري وكيل الجامعة السلفية ببنارس، ومولانا عبد السلام عين الحق السلفي رئيس قسم الترجمة بالدار السلفية في مومباي. وتولى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري مراجعة الترجمة بنفسه وأسهم في طباعته.

ثم قام الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم أستاذ اللغة الأردية وآدابها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بترجمته بأجزائه الثلاثة إلى العربية مرة ثانية بطلب من الشيخ عبد المالك مجاهد. المدير المسؤول بمكتبة دار السلام بالرياض، وصدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٩٨م.

ـ كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في سبعة مجلدات للعلامة شبلي النعماني، والسيد سليمان الندوي الحسيني المتوفى عام ١٣٧٣هـ. الجزء الأول والثاني للنعماني، وبقية الأجزاء لسليمان الندوي. وهذا الكتاب يعتبر موسوعة للسيرة النبوية من جميع نواحيه، وهو يتضمن بالإضافة إلى أحداث السيرة النبوية، ووقائعها الرد على

المستشـرقين، وخصائص الإسـلام، وما يمتاز به في العقائد، والغيبيات، والعبادات والمعاملات وحقوق العبـاد، ومكانة الأخلاق، وتفصيل الأخلاق التي تحلى بهـا النبـي صلـى الله عليـه وسـلم، والمقارنة بين أخـلاق المسـلمين وغيرهـم من أصحاب الديانـات الأخرى. وقد رجع المؤلف إلى كثير من المصـادر العربيـة والإنجليزية والألمانية والفرنسـية والأردية في تأليفه.

ويعـد هـذا الكتاب مـن الكتب المهمـة التـي كتبـت بعـد سـيرة ابـن هشـام، ومما يميـزه أنـه لا يكتفـي بعـرض السـيرة النبويـة فحسـب، مثـل باقـي كتب السـيرة، بل يتنـاول العقائـد، والمعاملات، والعبـادات، والسياسـة في عرض رصين مدعـم بالبحوث العلميـة والدراسـات الدقيقة، مـع التحفـظ في الروايـات التي يوردها.

وقام بترجمتـه من الأردية إلى العربية الدكتور يوسـف السيد عامـر الأسـتاذ بقسـم اللغـة الأردية وآدابهـا -كليـة اللغات والترجمـة، جامعـة الأزهـر- وعـدد صفحاتـه ١٨٠٠ صفحـة مـع تعليق وتحقيـق الأحاديث الشريفة والنصوص العربية.

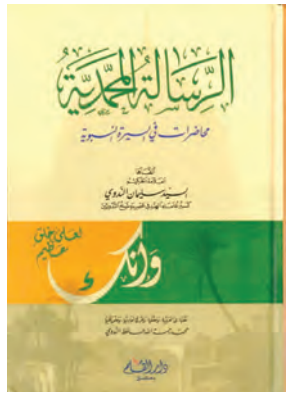

ـ كتـاب «فَـنّ السـيرة النبوية تاريخ وأصول» للدكتور محمد علي غـوري، من إصـدار مركز جمعـة الماجد للثقافـة بدُبي، وهـو عبـارة عن ترجمة ودراسـة معمقة للسـيرة، مستعرضًا فيه دور المؤلف في الوقوف بوجه هجمات المستشرقين على الإسلام والرسول الكريم محمد صلـى الله عليه وسـلم. ومن القضايا التي ناقشـها: الفـرق بين فن السـيرة وعلم التاريـخ، والفرق بين كتب السـيرة وكتب الحديث، والفـرق بين الدراية والرواية ومفهومها عند المحدثين وكتاب السـيرة، كما ناقش قضايا عـدة، مثل: قضية اختلاف مراتب الـرواة، وبـأي معنى اعتبـر الصحابة كلهـم عدول، تناول كل ذلك بجرأة وصراحة.

ـ كتـاب «الرسـالة المحمديـة» وهـو عبـارة عـن محاضرات في السيرة النبوية ألقاها العلامة سليمان الندوي الحسـيني سـنة ١٩٢٥م باللغـة الأردية على جماعات من الشـباب المسلمين المثقفين، وطلبة الكليـات والجامعـات في مدينـة مـدراس بجنـوب الهند؛ ملبيًا لطلب جمعية «إسلامي تعليمي نجمن بمدراس»، طُبِعَت ونُشِرَت هذه المحاضرات باسم «خطبـاتِ مـدراس» بالأرديـة عدة مـرات، وذلك في ١٩٤ صفحـة، وأُدخِلَـت في مناهـج التعليـم في بعض الولايات.

ويتعلـق الكتاب بصميـم موضوع السـيرة النبوية. وأنقـل هنا بعض العناوين البـارزة التي ميزت هذا الكتـاب من المؤلفات الأخرى، وهي: سـيرة الأنبياء هي الأسوة الحسنة للبشر، والسيرة المحمدية من الناحيـة التاريخية، والسـيرة المحمديـة من ناحية كمالهـا وتمامهـا وشـمولها، والسـيرة المحمديـة مـن ناحيتهـا الجامعـة، والسـيرة المحمديـة مـن الناحيـة العلمية. ترجم هذا الكتاب الأسـتاذ سـعيد الحق الديسـنوي إلـى الإنجليزية بعنـوان: Living Prophet، كمـا نقلـه مترجم آخر إلـى الإنجليزية بعنوان: «The Ideal Prophet».

وترجمـه إلـى العربية مولانـا محمد ناظـم الندوي باسم «الرسـالة المحمدية» بأسلوب علمي رشيق، وتكـررت طبعاتـه في الهند والقاهرة ودمشـق. كما قام الأسـتاذ محمد رحمة الله حافظ الندوي بترجمة «خطباتِ مدراس» للعلامة سـيد سـليمان الندوي مـن الأردية إلى العربية تحت مسـمى «محاضرات مدراس».

ـ كتـاب «فضائل الصلوات على النبـي الكريم صلى الله عليـه وسـلم» ألفه شـيخ الحديـث مولانا زكريا الكاندهلـوي، وهـو كتاب يحـوي معلومـات مهمة وبحوثـاً قيمة ونال قبولا واسـعا، وتقديرا كاملا من أهـل العلم والعرفـان في الهند وغيرها. وقام سـيد

محمد واضح رشـيد الحسـني الندوي بترجمته إلى اللغة العربية.

ـ كتاب «تحقيق معنى السنة» للعلامة سيد سليمان النـدوي، وهو عبارة عن مقـالات علمية قيمة كتبها بالأردية ردا على الطائفة التي سمّت نفسها بـ «أهل القـرآن»، وتدّعي أن مصدر التشـريع الإسـلامي هو القرآن وحده، وأن السـنة النبويـة إنما كانت أحكاما مؤقتـة لمعاصـري النبـي المكـرم صلـى الله عليه وسـلم فحسب. تم نشرها في مجلة معارف العلمية الشـهيرة الصادرة مـن دار المصنفين بأعظم جره، الهنـد. تنـاول فيهـا المؤلف عددًا مـن الموضوعات منهـا: أهميـة السـنة النبويـة في ضوء آيـات القرآن الكريـم، وروايـات الحديـث النبوي الشـريف، وآثار الصحابة رضوان الله عليهم، وأن القرآن والسنة هما مصـدران مهمان للتشـريع الإسـلامي، وأن السـنة النبويـة بمنزلـة القـرآن الكريـم من ناحيـة وجوب العمـل. ترجمـه إلى العربية الأسـتاذ عبـد الوهاب بن عبد الجبـار الدهلوي، وقامت بنشـره المطبعة السـلفية بمصر عام ١٣٧٧ هجرية. وفي الختام أقول: إن سـيرة النبي الأكرم محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسـلم كانت من أكثر سِير الرجال اعتناء على الإطـلاق وتـداولاً على مـرّ التاريخ، فانبرى لسـيرته الشـريفة الموافـق والمُخالـف، والعالـم والمتعلم، فسُـطِّر فيها ما لا يحصى من الأسفار، وأفنى الرجال فيها زهرة الأعمار.

وتعـد اللغـة الأرديـة هي ثانـي أكثر اللغـات خدمة وتأليفـاً ونشـراً للسـيرة النبويـة، وتمتـاز بالدقـة، والجـودة، وتنوع المؤلفات فيها، وأن اللغات الأخرى التـي ازدهر فيها التأليف في السـيرة النبوية كاللغة الإنجليزية، والبنغالية، استفادت كثيراً من مؤلفات السـيرة النبويـة باللغة الأرديـة، ونقلـت ترجماتها إلى لغاتها، وأن كتب السـيرة النبوية باللغة الأردية ذخيـرة كبيرة ينبغي الاسـتفادة منهـا، وأنها تحتاج إلى خدمة أكبر.

وأمـا عنايـة علماء شـبه القـارة الهنديـة بالترجمة لكتب السيرة النبوية وجهودهم المخلصة في حفظها ونشـرها عن طريـق النقل من العربيـة إلى الأردية وعلـى العكـس فهي مـن ثوابت التاريخ الإسـلامي. وقـد اهتم هؤلاء العلماء بترجمـة المصادر المهمة مـن العربيـة إلـى الأرديـة، وتُرجمت خـلال الأعوام الأخيرة مؤلفات عديدة في موضوع السـيرة النبوية، ولا يـزال عمل النقل والترجمـة في هذا المضمار في ازدياد مستمر.

نحو رؤية شرعية

للذكاء الاصطناعي

بقلم: محمد خالد الكردي – لبنان

تابعنا صدور بيان من الدورة الثالثة والعشرين لمجمع الفقه الإسلامي بشأن الذكاء الاصطناعي، ولعل المجمع بصدد دراسة الحكم الشرعي لاستخدامات الذكاء الاصطناعي والتقرير بأحكامها في دورات قادمة لحاجة المسلمين إلى رؤية شرعية لهذه المستجدات.

لقد وجد الإنسان نفسه في هذا العصر الذي باتت فيه التكنولوجيا الرقمية بذكائها الاصطناعي وقرارها الذاتي قادرة على محاكاة السلوك البشري والقيام بما يفعله الإنسان من أعمال ووظائف. فالذكاء الاصطناعي بات حقيقة واضحة وضوح الشمس ولم يعد البحث في أحكامه ترفًا فكريًا بل إنه بات واقعًا

يتجـه إلى معرفة كنهه كل العالـم، ورأينا أنها تبنى عليـه اقتصاديات العالم الحديث وميزانيات الدول، لذلك بات على الدول التي تنشُد الرقي بشعوبها أن تتعامل مع هذه الاختراعات بعين الاهتمام. فالذكاء الاصطناعي (AI) هو الركيزة للثورة الصناعية اليوم؛ لقد باتت الحواسـيب هي التي تُوجد الحلول وتتخذ القـرارات بـدلًا مـن الإنسـان بنـاءً علـى العمليات الاسـتدلالية التي تغذى بهـا حتى صارت قادرة على محاكاة السلوك البشري الموصوف بالذكاء.

ينقسـم الذكاء الاصطناعي إلى أنـواع منها الضعيف أو المحـدود، وهـو أبسـط الأشـكال، لأنه يتـم على برمجيـات مسـبقة مثـل الروبوتـات الصناعيـة المبرمجـة علـى مهام محددة. والـذكاء الاصطناعي القـوي الـذي يتسـاوى مـع قـدرات الإنسـان مثل الروبوتـات المسـتخدمة في التشـخيص الطبـي كتشخيص الأورام تعطي في ذلك نتائج فائقة الدقة..

وهناك الـذكاء الاصطناعي الفائق، وهذا النوع يعتبر أخطر الأنواع والتي لا تزال فيه الأبحاث تحت التجربة ولـم يزل ضربًـا مـن الخيـال العلمي حتـى اليوم. يهدف هذا النوع إلى تصميم آلات تفوق مخ الإنسان وقدراته، حيث يتوقع بعض العلماء العاملين في هذا المجال أنه بحلول ٢٠٣٠م سيكون بمقدورهم تهجين بشـر بيولوجيين يحملون في رؤوسهم بليونات من النانويات لرفع مستوى ذكائهم وأدائهم.

ومن أهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي وأكثرها تقدمًا علم الروبوت Robotics ولا يقتصر الروبوت على الهيـاكل الاصطناعيـة المصممـة في شـكل إنسـان بل يتسـع ليشـمل كل عامـل أو هيـكل اصطناعي نشـيط يكـون محيطـه العالـم الطبيعـي، ومـن أنواعهـا: الروبوتـات الصناعية والخدمية، وتنقسـم باعتبـار بنائها الهيكلي إلى قسـمين: روبوتات ثابتة ومتنقّلـة. ومـن القضايـا الشـرعية التـي تثـار إذا تكلمنا عن الروبوت تلك المتعلّقة بمسألة التصوير والنحـت وصناعة المجسـمات المشـابهة للكائنات الحيـة وحكم تصميـم الروبوت على تلـك الصورة. ومـن المقـرر نهي النبي صلى الله عليه وسـلم عن التصاويـر والتماثيل، فعن عائشـةَ زوج النبيّ صلى الله عليه وسـلم أنها قالت: إن أشدّ الناسِ عذابًا يومَ القيامـةِ الذين يُضاهون اللهَ في خلقِـه، إلى غير ذلك مـن الأحاديـث. وقد اتفـق فقهاء المذاهـب الأربعة رحمهـم الله تعالـى علـى أن هـذا الحديـث وغيـره لا ينطبـق على صناعـة وبناء مجسـمات الجمادات كالجبـال والأحجار، فجميع ذلك لا يحرم الصنعة فيه ولا التكسـب. وفي هذا الحديثِ تَحكـي أمّ المؤمنينَ عائشـةُ رضِيَ اللهُ عنها أنّها كانت تَلعَبُ بالبناتِ عندَ النّبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم، وهي التّماثيلُ المُسمّاةُ بلُعَبِ البنـاتِ، وكان لها صَواحبُ مِن أقرانها يلعَبْنَ معهـا بِهنّ، فكان رسـولُ الله صلّى اللهُ عليه وسـلّم إذا دخَـلَ عليها الحُجرةَ «يتقمّعْنَ»، أي: يَتغيّبْنَ منه صلّى اللهُ عليه وسلّم، يَدخُلْنَ وراءَ السِّترِ، فيَبعَثُهن ويُرسِـلُهنّ رسـولُ الله صلّـى اللهُ عليه وسـلّم إليها فيلعَبْـنَ معها. وعلّل العلمـاء الجواز هاهنا بالحاجة إلـى ذلـك لما فيـه تدريب البنـات في صغرهن على تربية أولادهن، وأنّ تصميم الروبوتات في هيئة ذات أرواح مـن المخلوقات يمكن إلحاقه بهذا الاسـتثناء وقياسه عليه.

لقد كان علماء الإسلام من الأوائل في عالم الروبوتات، فلقد صمّم الجـزري آلات كثيرة ذات أهمية كبيرة؛ كثير منها لم يكن معروفًا في أي مكان في العالم من قبـل، بمـا في ذلك آلات رفـع الماء، وسـاعات مائية ذات نظـام تنبيه ذاتي، وصمامـات تحويل، وأنظمة تحكـم ذاتـي، وكثير غيرهـا شـرحها في مؤلفه الذي أسماه: «الجامع بين العلم والعمل النّافع في صناعة الحيـل»، (انظر موقع historiafactory العلمي)، وإذا فصّلنـا في أنـواع الروبوتـات تبيّـن مـن طريقة عملها وجود نوعين أساسيّين:

الأوّل هو الرّوبوت الحتمي، ويعمل وفق خوارزميات حتميّة، قادرين على التحكم فيها والتنبّؤ بسـلوكها. والثّانـي هـو الرّوبـوت المسـتقل، وهـي روبوتات متعلّمة تحاكي قدرات الإنسان كالإدراك واستعمال اللغة وحل المشكلات والتّعلم.. لكنه يصعب التنبؤ بسـلوكها فهي تعمل حسـب البيئـة والتكيّف ذاتيًا؛ ومن هذه الروبوتات (سيارات ذاتية القيادة، طيارات ذاتية التوجيه الدرونز، الإنسان الآلي الاجتماعي).

يتبيّـن لنا مـن خلال العرض السـابق كيف تطورت أبحـاث الـذكاء الاصطناعـي حتى أنتجت لنـا أنظمة ذكيـة تعمل بصـورة مسـتقلة عن الإنسـان، الأمر الـذي أوجـب علـى الأوسـاط العلميـة والفقهيـة والقانونية المسؤولية عن الأضرار الناشئة عن هذه الآلات المسـتقلة إذ هي انفلتت عن نظام التشغيل الآمن، حيث أجمع العلمـاء على أن الأهلية والذمة لا تثبـت إلا للآدمييـن باعتبارهـم هـم المخاطبين، يقـول الله تعالـى: «وَكُلَّ إِنْسَـانٍ أَلْزَمْنَـاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ»، قال عبيد الله بن مسـعود المشـهور بصدر الشريعة في التوضيح: «يثبت بهذه الآية أن الإنسان لـه وصف هو به يصير أهلاً لمـا عليه، أي لما وجب عليـه مـن حقـوق والتزامـات»؛ لذلـك سـيتركز اهتمامنـا بالروبوتات المسـتقلة التي تنفرد باتخاذ قراراتهـا دون سـيطرة منـه أو رقابـة، الأمـر الذي يحتّـم على أهل الفقه والقانون تحديد المسـؤوليّة عـن الأضـرار التـي قـد تنشـأ مـن قِبـل الكيانـات المسـتقلّة إذ هي انفلتت عن نظام التّشغيل الآمن وألحقـت ضـررًا بالإنسـان في نفسـه أو مالـه، وكل هذا يولِـد بحثًا معمّقًا في أهليّتها. ومن هذا التصوّر بحث أهل القانون ووضعوا ثلاثة احتمالات: فإمّا أن تُعامـل هـذه الروبوتات معاملة غيرهـا من الآلات والجمـادات والحيوانات، وإمّـا أن نعطيها قدرًا من الأهليّـة كالأشـخاص غيـر البالغين من البشـر، أو معاملتها كالأشـخاص الطبيعيين البالغين. فالقول الأول بوضعهـا جانب الحيوانـات والآلات هو الأوفق للشـريعة والأقـرب إلـى النصوص، والقـول الثاني وهـو القول بإعطائها ذمة مالية وشـخصية قانونية اعتباريـة، حيـث يمكن تخريج أحكامهـا على أحكام الشريعة الإسلامية في الرّقيق فالرّق لم يكن أبدًا من ابتكار وإنما كان نظامًا اجتماعيًا اصطلح عليه العالم قبل الإسـلام وجاء الإسلام لينقله من الشّيئية إلى مرتبة الشّـخصية، اعتبارًا بصفة الإنسانية التي ميز الله تعالى بها الإنسان عن غيره من الكائنات، وروي عـن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم رأى رجلا على دابة وغلامه يسـعى خلفـه فقـال: «يـا عبد الله احملـه خلفـك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله»، وأما القول الثالث الذي يؤسّـس لفكـرة مسـاواة الروبوتات بالبشـر في المسـتقبل ودمجهـم في الحيـاة ككائنات جديدة ستحل على عالمنا مستقبلا على نحو ما كنا نقرأ عن الخيال العلمي والدعوة لفكرة (ما بعد الإنسـانية)، مناهضًـا للنصوص الشـرعية التي جعلت الإنسـان سيّدا لجميع المخلوقات يقول تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِـيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُـمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْـرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰـتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»، من هنا فصّـل أهل الاختصاص تفصيلًا فيما يتعلّق

بالمسـؤولية والضمـان عمّـا تُحدثـه الروبوتات في الشـريعة الإسـلامية. فالمسـألة الأولى قياسا على العجماوات من الحيوانات (الشـيئية) وهو اعتبارها مـن الآلات والحيوانـات وقـد اتفق الفقهـاء على أن الأصـل في الضمـان تضمن الأمـوال المثلية بمثلها وتضمن الأموال القيمية بقيمتها عملا بقوله تعالى: «فمن اعتـدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكـم»، لذلـك فـإن أي اعتداء علـى الروبوت من قبل أي شـخص يُلزم بدفـع قيمة ما أتلفه بقدر ما بلغـت هذه من جانب الجناية على الروبوت. أما في جنايـة الروبوتات على الأشـخاص والأموال فتخرج حسـب أحكام جناية الحيوانات في الفقه الإسـلامي، وعن النعمان بن بشـير قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: {مَن أوقف دابة في سبيل من سبل المسلمين أو في سوق من أسواقهم، فأوطأت بيد أو رجل فهو ضامن} أوجب النبي الضمان على الآدمي. والمسـألة الثانية هي قياس المسـؤولية والضمان قياسًا على أحكام الرقيق كشخصية اعتبارية؛ حيث إنّ العبـد يتمتـع في الفقه الإسـلامي بأهلية وجوب وذمة صالحة لتحمل الواجبات واكتسـاب الحقوق، قـال الفقهـاء: إن الرقيـق فيـه معنـى الآدميـة أو الإنسـانية بدليل كونـه مكلّفا بالأحـكام، وفيه أيضًا معنـى المالية أو الشـيئية وهـذه الطبيعة أخرجته من الأشـخاص الطبيعيين الأحرار، فعن علي رضي الله عنـه قال: «إذا أمـر الرجل عبـده أن يقتل رجلا فإنما هو كسيفه أو كسوطه؛ يقتل المولى ويحبس العبـد في السـجن، وفي ضـوء ذلك يمكـن أن نكيف مسـؤولية الروبـوت في حال إكسـابه أهليّـة وذمّة ماليـة ناشـئة مـن منحـه الشـخصية القانونية في المسـتقبل، إذ مـن الممكن إنشـاء هيئـة مختصة وحسـابات بنكيـة لهـذه الروبوتـات المسـتقلة، إذ تُـدرّ دخـلًا لمالكيهـا وتـؤدى منهـا أروش الجنايات وبـدل المتلفات مـن غير امتداد بالمسـؤولية إلى ذمـم المالكيـن والمطوريـن إذا مـا ثبـت بالفعـل عدم مشـاركتهم في الجنايـة بالتعدي والتقصير وإلا تعلقت المسـؤولية بالروبوت فيُباع ويُستوفى من ثمنه ما بقي من تعويض.

أخيـرًا، يظـل الإنسـان هـو القيمة الأسـمى والملاذ الأعلـى لـكل الكائنـات بتقرير النصوص الشـرعية، ومـا وُجد الـذكاء الاصطناعـي والروبـوت إلا بالعقل البشـري المكرّم، ولا يمكن اعتبار الروبوت شـخصًا كالإنسـان، وإن فاقـت قدراتـه بعض بني الإنسـان، لأن ذلك لا يتماشـى وكرامة الإنسـان. وأختم بعبارة دقيقـة لأميـن عام رابطـة العالم الإسـلامي، معالي الشـيخ الدكتور محمد العيسـى حفظـه الله تعالى، في إحـدى مقابلاته: «إنّ العقل البشـري انتصر على نفسـه، لأنه هو مَن أوجد الذكاء الاصطناعي، والعقل البشـري أوجده الخالق جلّ وعلا فكُل شـيء هو من الله تعالى».

«وثيقة مكة المكرمة»:
من أجل خير الإنسان والبشرية

بقلم: السيد حسن علي الأمين

«وثيقة مكة المكرمة» هي إحدى المبادرات البارزة والمتقدمة في عصرنا الحاضر، أطلقتها رابطة العالم الإسلامي، مستلهمةً الأسس النبوية الكريمة للوثيقة الأولى للبشرية عبر التاريخ التي جرت في المدينة المنورة.

وقد جاء النداء في وثيقة مكة المكرمة من قبل الرابطة لتعزيز الوسطية والاعتدال في العالم الإسلامي، وأن المسلمين جزء فعّال في هذا العالم يتفاعلون معه وفيه من أجل خير المجتمعات والمصالح المشتركة بين الأمم والشعوب والأوطان.

جرى الإعلان عن هذه الوثيقة التاريخية في مكة المكرمة في مايو ٢٠١٩ بحضور كبار علماء المسلمين من مختلف أنحاء العالم، ومن أهدافها إبراز الخطاب الديني الإسلامي الوسطي القائم على التنوع والاحتضان التعددي والتعايش والتسامح، ولتكون ركيزة أساسية في مجتمعاتنا القائمة على المواطنة وأن التعدّد والتنوّع سنة الله في خلقه وستبقى.

وتتضمن الوثيقة أيضا التأكيد على مبادئ التعايش السلمي بين المجتمعات، وتعزيز التعاون بين الشعوب وبين المذاهب والرسالات لأجل خير البشرية ورفض التدخل في الشؤون الداخلية للأوطان والشعوب، ورفض العدوان والاستعلاء والكراهية والعنصرية واحترام خصوصية الآخرين.

ولما كانت هذه الوثيقة تخرج من مرجعية الإسلام، فإنها تعبير عن ضمير المسلمين في كل مكان، وقد وجدنا في هذه التجربة، كما قلت حينها، مضامين مشتركة، ومنها ما أريد أن أختصرها في خمس نقاط مما تعلمته من مدرسة سماحة الوالد العلّامة السيد علي الأمين من خلال جهوده خلال عقود، حول الوسطية والمواطنة والاعتدال والتعددية والحوار بين الرسالات والأمم والمذاهب:

- من أراد مواجهة الفقر عليه أن يستثمر في التنمية.

- ومن أراد مواجهة الجهل عليه أن يستثمر في العلم والتنوير.

- ومن أراد مواجهة تسارع الزمن في المعلومات، عليه أن يستثمر في المناهج الأكاديمية.

- ومن أراد مواجهة التعصب عليه أن يستثمر في التنوع والتعارف.

- ومن أراد مواجهة التطرف عليه أن يستثمر في الوسطية والاعتدال.

إن ما قامت وتقوم به رابطة العالم الإسلامي من جهد موفق؛ هو زرع في محله، وغرس مبارك لخير أوطاننا والأمة الإسلامية والأجيال المقبلة سيؤتي أُكله إن شاء الله تعالى بتوفيقه وجهود القائمين والعلماء، لأنه استثمار في سبيل الله، وحين يوضَع موضعَه سيكون كما جاء في قوله تعالى: «كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

المغرب - عملية الغدة الدرقية
تصوير: نايف الزهراني

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE